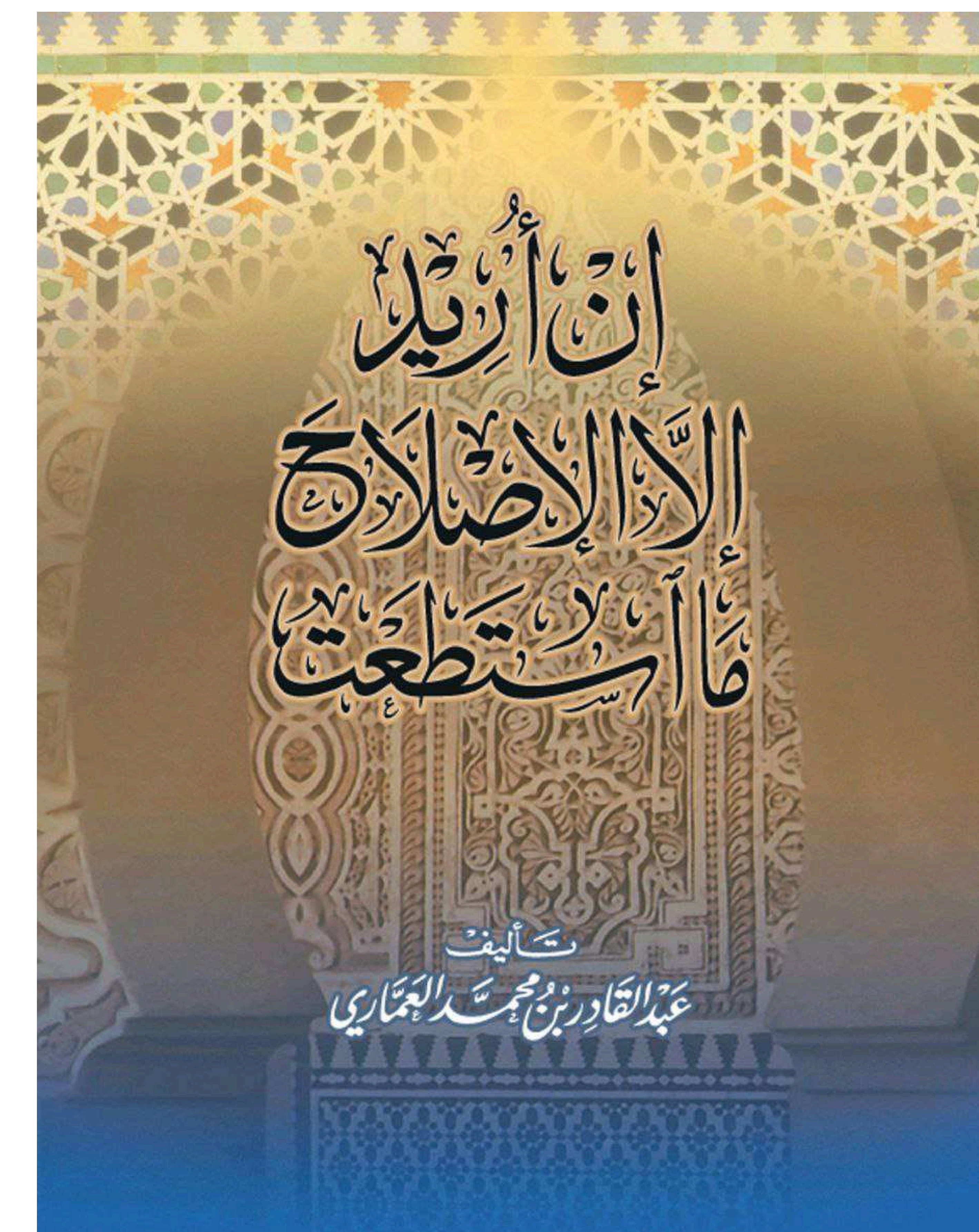
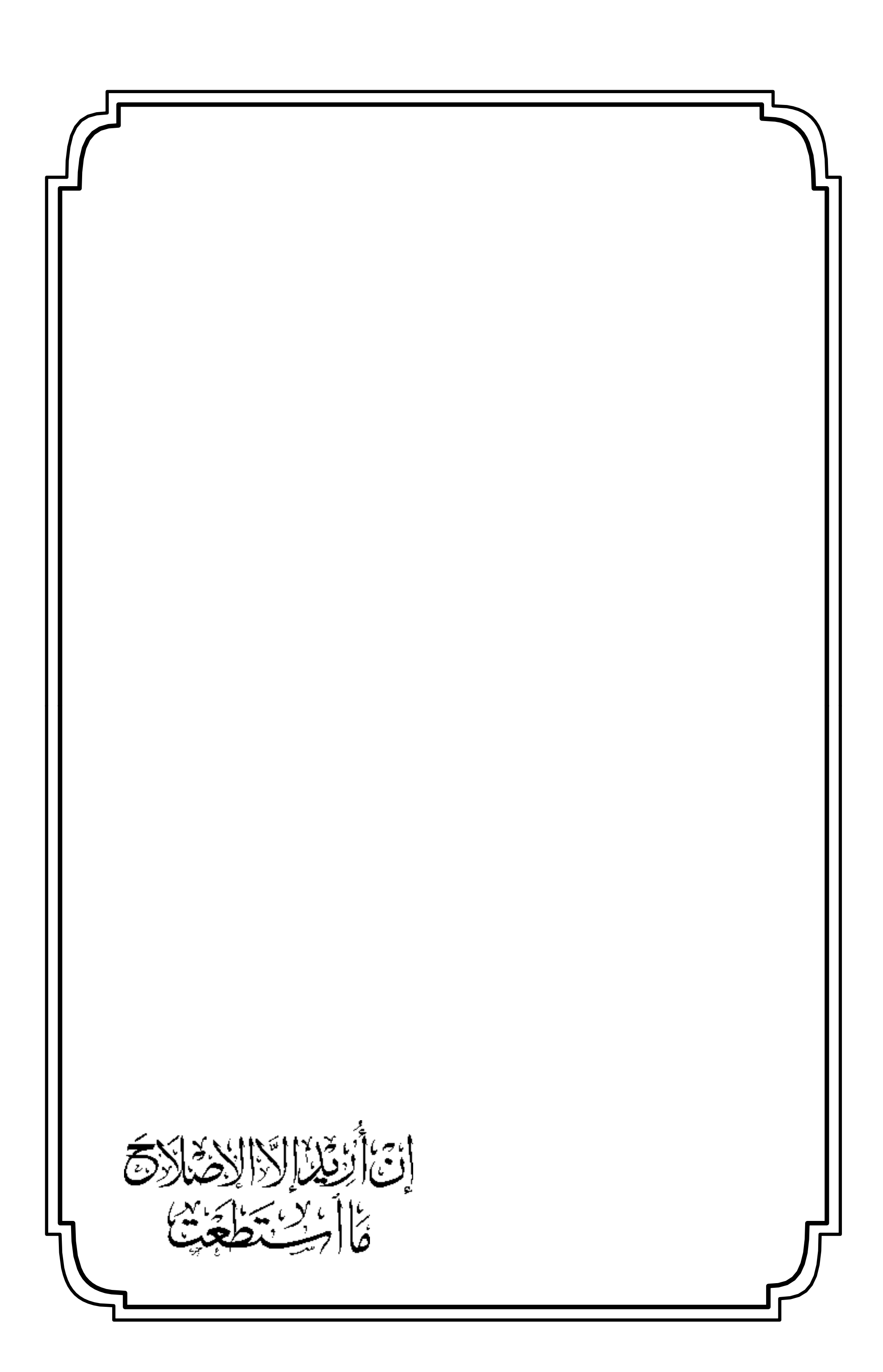
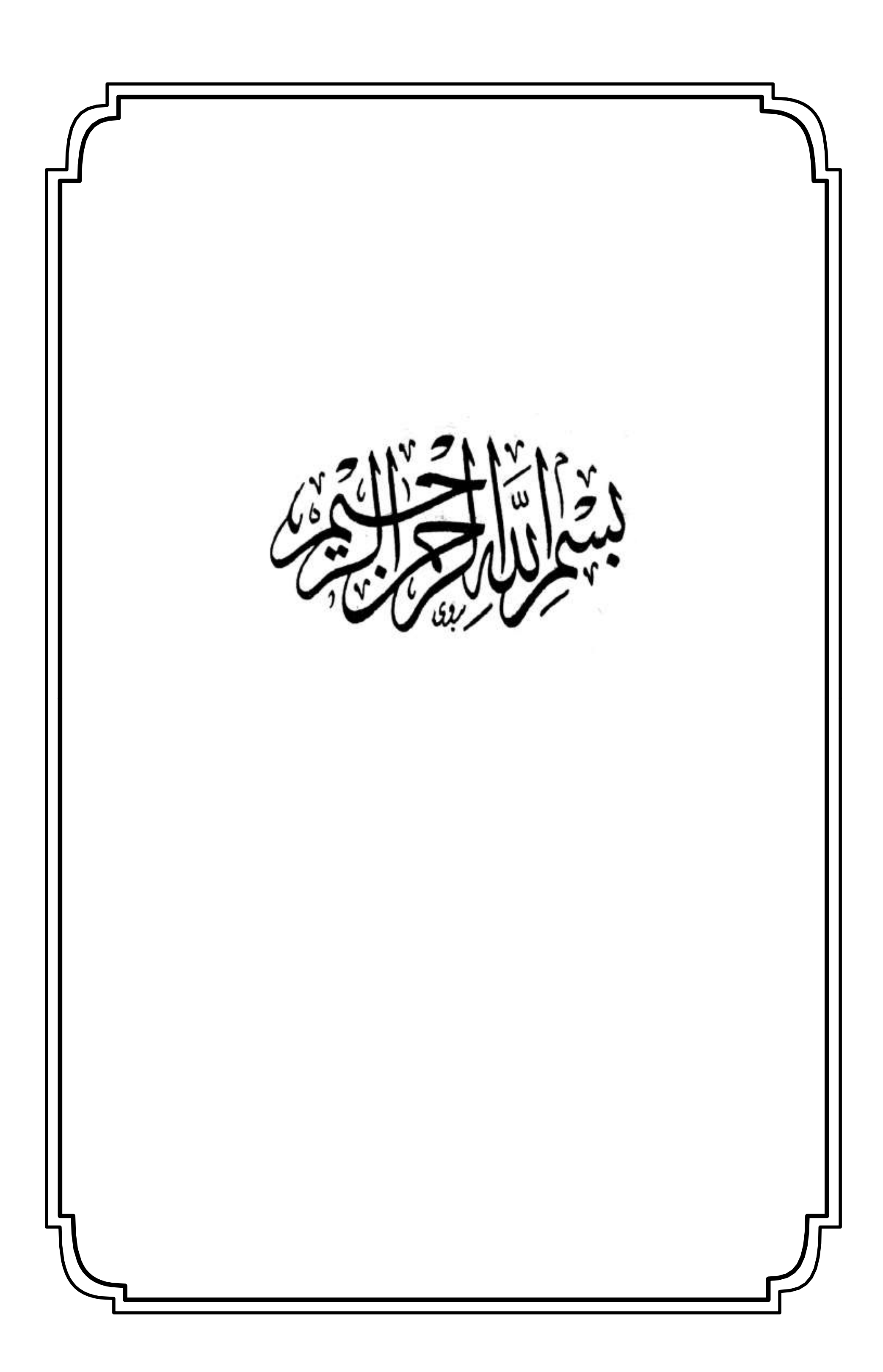

إن أُرِيدُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ
تأليف
عبد القادر بن محمد العماري

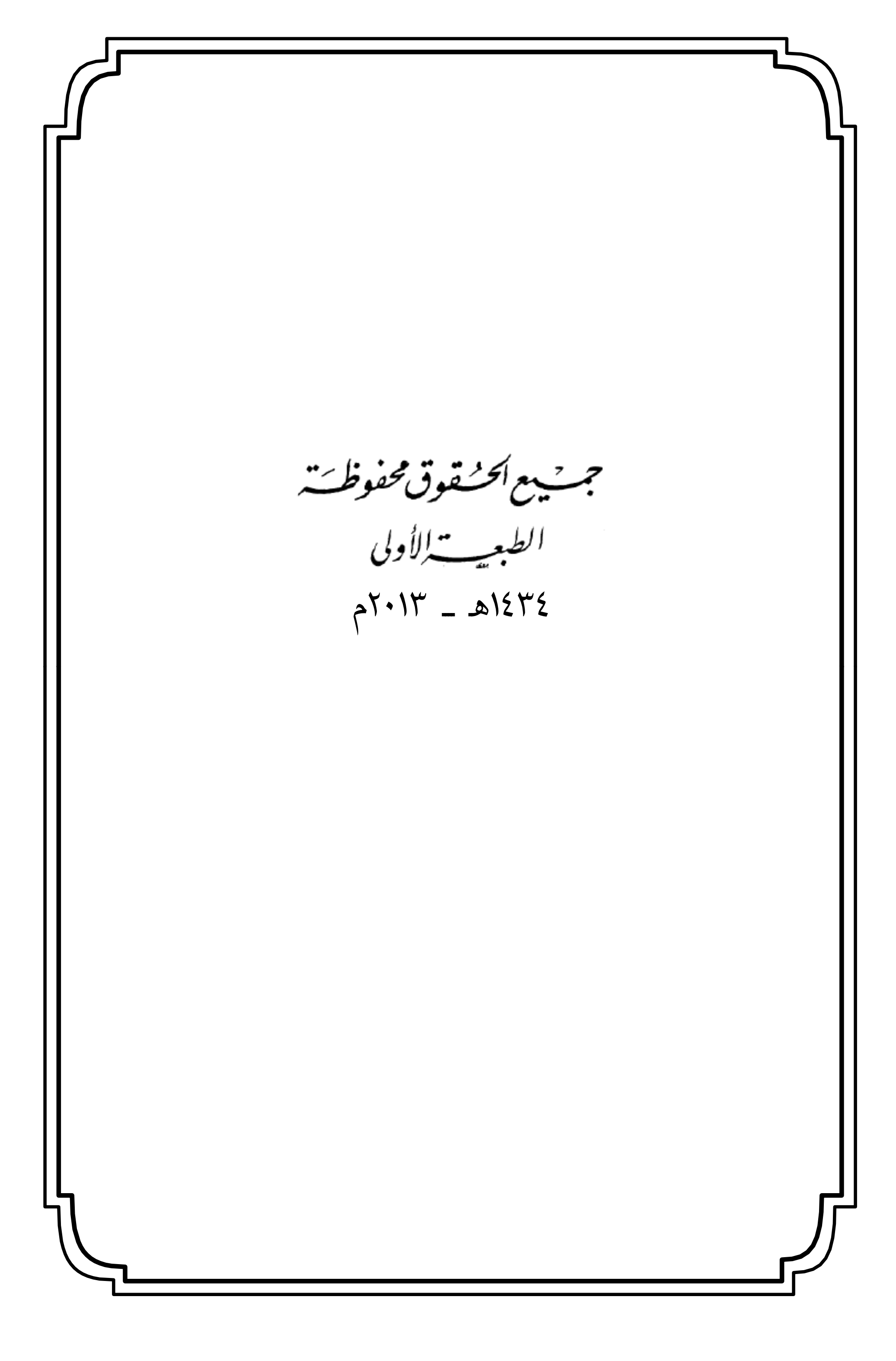

إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت


بسم الله الرحمن الرحيم

إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ

تأليف

عبد القادر بن محمد العمّاري



الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

إضاءات

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال جل في علاه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيّ بَعَثَهُ اللَّه فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ وَأَصْحَاب يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه. ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُف مِنْ بَعْدهمْ خُلُوف يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ. فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِن، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِن، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِن. لَيْسَ وَرَاء ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَان حَبَّة خَرْدَل**»[١].

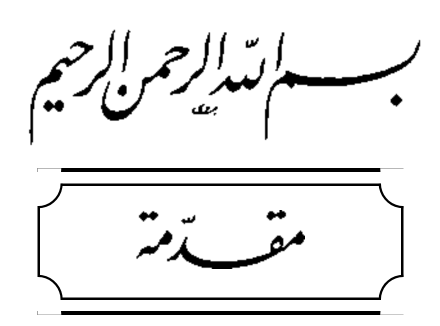
وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُم أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَىٰ الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ.**

(١) «صحيح مسلم» (رقم ١٨٨).

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: **أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»[1].

❀ ❀ ❀ ❀

(1) «سنن أبي داود» (٤٣٤٣)، و«سنن ابن ماجه» (رقم ٤٠١٤)، و«صحح الألباني» بعضه.



الحمد لله الحكيم العليم، الخلاق العظيم، خلق خلقه ليعبدوه، وأنعم عليهم ليشكروه، له الحكمة المطلقة في أمره وشرعه، وله الحجة البالغة علىٰ جميع خلقه، أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمداً عبده ورسوله؛ بلّغ البلاغ المبين، ودعا إلىٰ الصراط المستقيم، وترك الأمة علىٰ البيضاء لا يزيغ عنها إلا زائغ هالك؛ صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، **أما بعد**:

إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبها كيف يشاء[1]، فأي قلب إن شاء الله أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، فالقلوب علىٰ قلبين: قلب علىٰ الهداية مقيم، يمشي سوياً علىٰ صراط مستقيم، وقلب تنكب الطريق فانحرف وزل، وزاغ وضل، يمشي مكباً علىٰ وجهه، أينما توجه لا يهتدي إلىٰ خير، ولا يأتي بخير، وإن من أعظم البلاء أن يحول الله بين المرء وقلبه، نسأل الله العفو والسلامة، ونعوذ به من الخذلان.

ها نحن نعيش اليوم في زمان الفتن، زمان الانفلات والتلوّن، زمان التعرّي من المبادئ، وهجران القيم، فالقلوب تتقلب، والأفكار تتبدل، والقناعات تتغير، انسلاخ من الدين، ونبذ للوحي المبين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران]، «**يا**

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٦٩٢١)، و«مسند أحمد» (رقم ٦٥٦٩).

مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ»[1]، «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**»[2].

إنه زمان القابض فيه علىٰ الهداية والمحافظ علىٰ المبادئ والقيم والأخلاق كالقابض علىٰ الجمر، إنها أيام الصبر التي أخبر النبي ﷺ عنها فقال: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّاماً؛ الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَىٰ الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ** . قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا رَجُلاً أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: **بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلاً مِنْكُمْ**»[3].

إن الثَّبات علىٰ المبادئ والقيم والأخلاق والشّيم حصانة للمجتمع من الزيغ والضلال، وحماية له من الذوبان والانحلال، تُفيضُ عليه الطمأنينة والاطمئنان، وتسبغ عليه الأمن والأمان.

إن شخصية المسلم الثابتة المتّزنة، وذاته المتميزة المتفردة، وإرادته القوية المتّقدة، وعزيمته العالية المشمرة، كل ذٰلك نابع من الاستقامة الحقيقيّة، والتزام القيم والمبادئ التي أكدت ودعت إلىٰ التزامها الشريعة الإسلامية، وأما الذي لم يتهذّب في ظلال تلك المبادئ والقيم يظلّ سيّئ الأخلاق، متذبذب الرّوح، شرّير الطباع، مشتَّت النفس، يمشي علىٰ غير سبيل، ويسير علىٰ غير طريق، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك].

إن الأمة الإسلامية عندها من القيم العظيمة والمبادئ الجليلة والشيم المرضية ما لو أحسنت عرضها بامتثال أبنائها لها ومحافظتهم عليها، لكانت

---

(١) «مسند أحمد» (رقم ١٧٦٦٧) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، و«المستدرك» (رقم: ٣١٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٧٩٨٨).

(٢) «صحيح مسلم» (رقم ٦٩٢١)، و«مسند أحمد» (رقم ٦٥٦٩).

(٣) «سنن الترمذي» (رقم ٣٠٥٨)، وقال الألباني: ضعيف لٰكن بعضه صحيح، وقد صححه بلفظ: «يَأْتِيْ عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيْهِمْ عَلَىٰ دِيْنِهِ كَالقَابِضِ عَلَىٰ الجَمْرِ» «السلسلة الصحيحة» (رقم ٩٥٧).

بذٰلك محل الأنظار، وفي منزلة يشار لها فيها بالبنان، ولسادت بذٰلك الأمم، وسمت وعلت علىٰ كل أمة وحضارة، وقد حصل لها ذٰلك في سالف عهدها، وماضي مجدها، ولٰكن خلفت خلوف ضيّعت وغيّرت، وحرّفت وبدّلت، ولابدّ للأمة من العودة والأوبة، ولٰكن بتغيير ما غيّرنا، وإرجاع ما ضيعنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

فلابدّ من الثبات علىٰ المبادئ، والحفاظ علىٰ القيم، والتزام الشريعة الإلٰهية، والملة المحمّدية، والحذر من الروغان والتقلبات، فالمسلم الحق لا يروغ روغان الثعالب، ولا يتقلب تقلب الحيات.

كنا خير أمة، وسنظل خير أمة: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وواجب أبناء الأمة من العلماء والمصلحين وأهل الخير السعي في إصلاح حال الأمة لتعود إلىٰ سالف عهدها من التزام الشّرع المطهّر، والتمسك بالوحي المنزل، والمحافظة علىٰ قيمها، والثبات علىٰ مبادئها، والتمسك بثوابتها. ونصحاً للأمة وإبراء للذمة وانطلاقاً من مبادئ وأسس خيريّة الأمة؛ كانت هٰذه اللطائف والإشارات والتي كتبت علىٰ فترات، أردت بها الإصلاح والمعالجة لمفاسد وأدواء تظهر بين حين وآخر، تصاب بها الأمة، : ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

فنسأل الله سبحانه أن يصلح حال الأمة وأن يغيره إلىٰ أحسن حال، وأن يردها إلىٰ شرعه رداً جميلاً، إنه سميع قريب.

قطر / الدوحة: ٣٠ / ١١ / ١٤٣٣هـ
الموافق: ١٦ / ١٠ / ٢٠١٢م

عبد القادر بن محمد العماري

❊ ❊ ❊ ❊



فلنعتصم بحبل الله إذا أردنا الخلاص

لقد قامت الأدلة الشرعية أن من أسباب الكوارث التي تحل بالناس ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، وفي الحديث الشريف: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ**»[١]، وعندما سئل الرسول ﷺ: «أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ: **نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»[٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَمَسٌ بِخَمْسٍ**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قَالَ: **مَا نَقَضَ قَومٌ العَهْدَ إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ فَشَا فِيْهِمُ الفَقْرَ، وَلاَ ظَهَرَتْ فِيْهِمُ الفَاحِشَةُ إِلاَّ فَشَا فِيْهِمُ المَوتُ، وَلاَ طَفَّفُوا المِكْيَالَ إِلاَّ مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِيْنَ، وَلاَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلاَّ حُبِسَ عَنْهُمُ القَطْرُ**»[٣]، ورویٰ الإمام أحمد في «الزهد» عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُصُ فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا، فَبَكَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِساً وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ قَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ! مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَىٰ اللَّهِ إِذَا هُمْ تَرَكُوا أَمْرَهُ، بَيْنَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ فَصَارُوا إِلَىٰ مَا تَرَىٰ»[٤].

(١) «مسند أحمد» (رقم ٣٠)، وصححه الألباني في «السلسلة» (١٥٦٤).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٣١٦٨)، و«صحيح مسلم» (رقم ٧٤١٦).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (رقم ١٠٩٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم٧٦٥).

(٤) «الزهد» لابن حنبل (رقم ٧٥٨).

ومن أعظم المنكر في الساحة الإسلامية اليوم هو انشغال المسلمين ببعضهم، فيقتل بعضهم بعضاً ويكيد بعضهم بعضاً، فما أعظمها من مفسدة في الأرض! ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

قال الإمام ابن القيم: «جعل الله المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم وتواصلهم كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر[١]، فإذا أتلف القاتل عضواً من ذٰلك الجسد فكأنما أتلف سائر الجسد وألم جميع أعضائه، فمن آذىٰ مؤمناً واحداً فقد آذىٰ جميع المؤمنين، ومن آذىٰ جميع المؤمنين آذىٰ الناس كلهم، فإن الله إنما يدافع عن الناس بالمؤمنين الذين هم بينهم فإيذاء الخفير إيذاء للمخفر؛ وقد قال النبي ﷺ: «**لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إِلاَّ كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»[٢]، ولم يجئ هٰذا الوعيد في أول زان ولا أول سارق ولا أول شارب مسكر، وإن كان أول المشركين قد يكون أولىٰ بذٰلك من أول قاتل؛ لأنه أول من سن الشرك، ولهٰذا رأىٰ النبي ﷺ عمرو بن لحي الخزاعي يعذب أعظم العذاب في النار؛ لأنه أول من غيّر دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[٣]، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١]، أي: فيقتدي بكم من بعدكم فيكون أثر كفره عليكم، وكذٰلك حكم من سن سنة سيئة فاتبع عليها. وفي «جامع الترمذي» عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَماً، يَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلْ هَذَا فِيْمَ قَتَلَنِيْ؟** قَالَ: فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا﴾ [النساء: ٩٣]، ثُمَّ قَالَ: مَا نُسِخَتْ هَذِهِ

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٥٦٦٥)، و«صحيح مسلم» (رقم ٦٧٥١).
(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٣١٥٧)، و«صحيح مسلم» (رقم ٤٤٧٣).
(٣) «صحيح البخاري» (رقم ٣٣٣٣)، وغيره.

الآيَةُ وَلَا بُدِّلَتْ، وَأَنَّىٰ لَهُ التَّوبَةُ»[1] قال الترمذي: هٰذا حديث حسن. وفي «صحيح البخاري» عن سمرة بن جندب قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَأْكُلَ إِلاَّ طَيِّباً فَلْيَفْعَلْ وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ**»[2]. وفي «جامع الترمذي» عن نافع قال: «نَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْماً إِلَىٰ الْبَيْتِ أَوْ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ»[3] قال الترمذي: هٰذا حديث حسن، وفي «صحيح البخاري» أيضاً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً**»[4]. وذكر البخاري أيضاً عن ابن عمر قال: «مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ الَّتِيْ لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفْكَ الدَّم الْحَرَام بِغَيْرِ حِلِّهِ»[5]. وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود يرفعه «**سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[6]، وفيهما أيضاً عنه ـ أي عنه ﷺ ـ «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِيْ كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[7]. وفي البخاري عنه ـ أي: عنه ﷺ ـ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً**»[8]، هٰذه عقوبة قاتل عدو الله إذا كان معاهداً في عهده وأمانه، فكيف بعقوبة قاتل عبده المؤمن؟ وإذا كانت امرأة قد دخلت النار في هرة حبستها حتىٰ ماتت جوعاً وعطشاً[9] فرآها النبي ﷺ في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها، فكيف عقوبة من حبس مؤمناً حتىٰ مات بغير جرم، وفي بعض «السنن»

---

(١) «سنن الترمذي» (رقم ٣٠٢٩) وصححه الألباني.
(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٦٧٣٣).
(٣) «سنن الترمذي» (رقم ٢٠٣٢)، وصححه الألباني.
(٤) «صحيح البخاري» (رقم ٦٤٦٩).
(٥) «صحيح البخاري» (رقم ٦٤٧٠).
(٦) «صحيح البخاري» (رقم١٢١)، و«صحيح مسلم» (رقم ٢٣٢).
(٧) «صحيح البخاري» (رقم ٤٨)، و«صحيح مسلم» (رقم ٢٣٠).
(٨) «صحيح البخاري» (رقم ٢٩٩٥).
(٩) «صحيح البخاري» (رقم ٢٢٣٦).

عنه ﷺ: «**لَزَوَالُ الدُّنْيا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**»[1]. انتهىٰ[2].

لقد تسلط علينا الأعداء بسبب فرقتنا وقتلنا لبعضنا بعضاً، فأصبحت أمتنا ضعيفة متهالكة، فتكالبت عليهم الأمم مصداقاً لما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ عَلَىٰ قَصْعَتِهَا** . قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ** . قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: **حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[3]. فبسبب هٰذا الوهن تخلينا عن حقوقنا ومقدساتنا وسُلبت حرياتنا ونُهبت أموالنا، وصرنا أهون الأمم، ونحن أعز أمة في التاريخ.

وحتىٰ نسترجع مكانتنا وصدارتنا ونستعيد مجدنا فلنعتصم بحبل الله ونسير علىٰ نهج الجيل الأول من هٰذه الأمة قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «سنن الترمذي» (رقم ١٣٩٥) وصححه الألباني.

(٢) «الجواب الكافي» (ص ١٠٤).

(٣) «مسند أحمد» (رقم ٢٢٤٥٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٨١٨٣).

علينا الاتباع لا الابتداع

استمعت إلىٰ أحاديث وقصائد من تلفزيون إحدىٰ الدول العربية عن سيرة النبي ﷺ، وقد استغربت أن تصدر عبارات من أشخاص المفترض منهم أنهم مثقفون ثقافة إسلامية يميزون بين ما يجوز قوله في الشرع وما لا يجوز، ففي تلك القصائد والكلمات عبارات فيها استغاثات وتوسلات لا يجيزها الشرع، فرسول الله ﷺ لا يريد من أحد أن يناديه كما ينادىٰ رب العالمين أو يطلب منه كما يطلب من الله، ولٰكنه يريد من المسلم أن يصلي عليه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

ولا شك أن أولٰئك يريدون بأحاديثهم وقصائدهم مدح الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ولٰكن في إمكانهم أن يقولوا ما شاءوا في صفاته، فأمامهم شخصية جمعت كل فضائل البشر وكل محاسنهم، فشمائله لا تعد ولا تحصىٰ، ولا يستطيع أي كاتب أو شاعر أو خطيب أن يستقصيها، ولذٰلك وصفته السيدة عائشة ﵂ بكلمة جامعة فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[1]. فكل تصرفاته ومعاملاته ﷺ مع الخالق والمخلوقين علىٰ نهج القرآن. وقد جعل الله عنوان المحبة وبرهانها في اتباعه ﷺ، فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) «مسند أحمد» (رقم ٢٤٦٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٤٨١١).

فإذا كنا صادقين في محبة الله ورسوله فعلينا الاتباع لا الابتداع، ومن الابتداع بل من الشرك أن نجعل للرسول ﷺ ما اختصه الله سبحانه لنفسه، وأن نخاطب الرسول ﷺ كما نخاطب الله سبحانه، كيف نطلب من الرسول ﷺ أن يغيثنا والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن]، ويقول: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف]، ويقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر]. وفي الحديث الصحيح أنه لما نزلت آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لاَ أُغْنِيْ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا بَنِيْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لاَ أُغْنِيْ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لاَ أُغْنِيْ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ! لاَ أُغْنِيْ عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ! سَلِينِيْ بِمَا شِئْتِ لاَ أُغْنِيْ عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً**»[١].

استغرب، أمامنا هٰذه الآيات وهٰذه الأحاديث ثم ينحرف بعض المسلمين إلىٰ أمور هي في الواقع ليست من الإسلام في شيء وإنما هي من الدخيل من الديانات السابقة المحرفة، فالغلو ليس من دين الإسلام ولا هو من شأن المسلمين الأوائل ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء]. وفي الحديث الصحيح عن

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٢٦٠٢)، و«صحيح مسلم» (رقم ٥٢٢).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»[1]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا نَزَلَ ـ أي الموت ـ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ، وَهُوَ كَذلِكَ: **لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَسَاجِدَ** يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»[2].

فالرسول عليه الصلاة والسلام وهو يستقبل الموت يخشىٰ علىٰ أمته أن تقلد النصارىٰ في تقديس قبره بعد موته، ويحذرهم أن يفعلوا مثل ما فعل النصارىٰ بقبور أنبياءهم، وكأنه يستشعر أن من المسلمين من سيفعل مثلهم، ولأن الشرك عندما بدأ في قوم نوح كان سببه أن رجالاً صالحين من قومه هم الذين أصبحوا أصناماً لهم بعد موتهم. قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]. فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هٰذه: «أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَاباً، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»[3]، أي أنه لما طال الزمن عبدوهم، وهٰكذا الأمور تبدأ صغيرة لا يرىٰ فيها شيء ثم تترسخ وتتضخم ويصعب إزالتها بعد أن تتحول إلىٰ عقائد راسخة عند الناس، وتجد لها التبريرات والأعذار ممن يحبون المجاملات أو يستفيدون منها مادياً أو أدبياً، ويتعلق بها العوام والجهلة باعتبارها من عادات آبائهم وأجدادهم وتقاليدهم، وهٰكذا قال أهل الجاهلية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان]، وقال تعالىٰ عنهم: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف].

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٣٢٦١).
(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٤٢٥)، و«صحيح مسلم» (رقم ١٢١٥).
(٣) «صحيح البخاري» (رقم ٤٦٣٦).

وأشد من يحافظ علىٰ الانحراف والتمسك بالقديم، ولو كان غير صحيح هم المترفون حتىٰ لو تبين لهم الحق. قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف].

فالمسلم الحق هو الذي يهتدي بهدي القرآن والسنة الصحيحة فيما يقول ويفعل، ويضع نصوص الشريعة بين عينيه عندما يريد الإقدام علىٰ عمل، أو يقول رأيه في أمر من الأمور، يجب أن ينظر إلىٰ العادات والتقاليد بمنظار الإسلام، فما وافق منها الإسلام قبله وأبقاه، وما خالفه منها رده وألغاه.

وعلىٰ المسلم أن يتجنب الشبهات؛ وخاصة الشبهات التي تتعلق بالعقيدة، لأن شبهات العقيدة قد تؤدي إلىٰ الشرك، والشرك أعظم ذنب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

وإذا كنت مستغيثاً وداعياً فادعُ الله، ولا تستغث بمخلوق، ولا تدعُ مخلوقاً مهما تكن درجته عند الله، بل توحده سبحانه وتعالىٰ ولا تشرك به شيئاً، فهو سبحانه لا يحتاج إلىٰ واسطة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، وقال ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»[1].

وكذا القول في مسألة التوسل، فليس لأحد أن يتوسل بالميت، فإن الثابت هو التوسل بطلب الدعاء من الرجل الصالح الحي. وقد ثبت أن

(١) «سنن الترمذي» (رقم ٢٥١٦)، وصححه الألباني.

المسلمين كانوا يطلبون من الرسول ﷺ في حياته أن يدعو لهم؛ كالمرأة التي كانت تُصرع فطلبت من الرسول ﷺ أن يدعو لها أن لا تتكشف عندما يأتيها الصرع[1]، وكطلب الأعرابي من الرسول ﷺ أن يستسقي لهم[2]، وفي خلافة عمر رضي الله عنه انقطع المطر، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَىٰ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا؛ فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ[3].

فالاتباع في أمور الدين والعقيدة هو الواجب والمحمود، وأما الابتداع في ذلك فهو غير جائز ومذموم:

وَكُلُّ خَيْرٍ فِيْ اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ ... وَكُلُّ شَرٍّ فِيْ اتِّبَاعِ مَنْ خَلَفْ

فَتَابِعِ الصَّالِحَ مِمَّنْ سَلَفَا ... وَجَانِبِ البِدْعَةَ مِمَّنْ خَلَفَا

وإنما أباح لنا الإسلام أن نبدع في أمور الدنيا، أما أمور الدين فعلينا بالاتباع لا الابتداع، فنعبده سبحانه وحده؛ ولا نعبده سبحانه إلا بما شرع: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٥٣٢٨)، و«صحيح مسلم» (رقم ٦٧٣٦).
(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٩٦٧)، و«صحيح مسلم» (رقم ٢١١٥).
(٣) «صحيح البخاري» (رقم ٩٦٤).

أما آن لهذه الخرافات أن تزول؟

جاء إليّ أحد الشباب من طلبة الجامعة وهو يحمل كتيباً صغيراً وقع في يده يسمىٰ «المجموعة المباركة»، وطلب مني أن أطلع عليه لأرىٰ ما فيه من الناحية الشرعية.

ولما قرأته استغربت أن يطبع مثل هٰذا الكتاب المليء بالخرافات والكذب علىٰ رسول الله ﷺ، وأيقنت أن الهدف وراء نشر مثل هٰذه الكتيبات هو إشغال المسلمين بالتوافه، وإشاعة روح الكسل والتواكل بينهم، وتكبيل عقولهم، وتجميد نشاطهم، ونشر الفساد والفوضىٰ بينهم باسم الدين، مؤلف الكتيب يدعىٰ عبده محمد بابا، وطبع الكتيب في مصر، ومما جاء فيه ما سماه حديث استغفار عبد الله السلطان قال عنه: (هو حرز وأمان من كل شيء، يقرؤه في كل ليلة من شهر رجب، وأن عبد الله السلطان كان مشهوراً بشرب الخمر والزنىٰ والفجور، وترك الصلاة والصوم، وكان في عهد رسول الله ﷺ، ولما مات لم يحضر من يغسله، ولا من يصلي عليه ويشيع جنازته، فنزل جبريل عليه السلام علىٰ النبي ﷺ فقال: يا محمد! إن ربك يقرؤك السلام، ويقول لك: قم وامش في جنازة عبد الله بن السلطان، وغسله وكفنه وصل عليه، فقام النبي وصار يمشي علىٰ أطراف قدميه، ونزل في اللحد وتبسم، فتعجب الصحابة منه، فلما رجعوا من جنازته سألوه: لأي شيء كنت تمشي علىٰ أطراف قدميك؟ فقال النبي ﷺ: «إني رأيت الملائكة قد اجتمعوا، فمن كثرتهم لم يبق لي مكان أطأ فوقه من الأرض إلا بأطراف الأصابع»، وقالوا: لأي شيء تبسمت؟

قال: «إني رأيت حضيرة من الجنة أتت إلىٰ قبره، وجاءت خلفه ألف حورية من الحور العين، بيد كل حورية منهن قدح مملوء من حوض الكوثر، وكل واحدة تقول: أنا أقوم وأسقيه»، من أجل ذٰلك تبسمت، قوموا نمض إلىٰ بيته ونسأل زوجته ما كان يعمل في حياته؟ فلما قدموا إلىٰ باب المنزل وجدوه مغلقاً فطرقوه، فقالت المرأة: من الذي يطرق باب أهل الفسق والفجور؟ فقالوا: يا أم الخير! افتحي لسيد المرسلين وخاتم النبيين، ففتحت الباب فسألوها عن حال زوجها، وما كان يفعل في حياته، فقالت المرأة: ما رأيت منه إلا الأفعال القبيحة وشرب الخمر والفسق والفجور، ولا رأيته يصلي في جميع عمره ركعة واحدة، ولا يصوم أبداً، ولٰكني رأيته إذا جاء شهر رجب يقوم ويدعو بهٰذا الدعاء، ومن كثرة ما يتلوه حفظته منه، فقال النبي ﷺ لعليّ: «اكتب هٰذا الاستغفار»، فكانت المرأة تقول وعليٌّ يكتب، فلما ختم الكتاب، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هٰذا الاستغفار، وجعله في بيته أو في متاعه، جعل الله له ثواب ألف صديق، وثواب ثمانين ألف ملك، وثواب ثمانين ألف شهيد، وثواب ثمانين ألف حجة، وثواب ثمانين ألف مسجد، وثواب ثمانين ألف من أعتق رقبة، وثواب ثمانين ألف من شرب من حوض الكوثر، وثواب ثمانين ألف عابد من العابدين، وثواب سبع سماوات، وثواب سبع أرضين، وثواب أبواب الجنة، والعرش والكرسي ومكة والمدينة وبيت المقدس، وبنىٰ الله له ثمانين ألف قصر في كل حجرة ثمانون ألف سرير علىٰ كل سرير ثمانون ألف حورية، وعلىٰ رأس كل حورية منهن شجرة ظلها قدر الدنيا، وإذا تُوفي أمر الله ثمانين ألف ملك يمشون في جنازته، ويسهل له سؤال منكر ونكير، ويفتح له من قبره باب إلىٰ الجنة، ويأتيه الحور العين بأقداح من حوض الكوثر، وإذا قام من قبره يكون وجهه أضوأ من القمر، فيقول أهل المحشر: أهٰذا نبي مرسل، أو ملك مقرب؟ فيقال: بل عبد من بني آدم أكرمه الله ببركة الدعاء، ثم يأتي الله ببراق يركبه ويدخل إلىٰ باب الجنة بغير حساب»، قال ﷺ: «من قرأ هٰذا

الاستغفار لا يقربه حية ولا عقرب، ولا سبع، ولا شيء يؤذيه، ويسلم من موت الفجأة، ويسلم من الظالمين والماكرين والحاسدين، ومن سحر السحرة والفجرة والفسقة، وينظر الله سبحانه وتعالىٰ إليه بعين الرحمة، ويسلم من الجن والمرض والشياطين وجميع المؤذيات، ومن شك فيه فقد كفر» ثم ذكر الاستغفار الذي له هٰذه الفضائل كلها، ولا نعتقد أننا في حاجة إلىٰ ذكره. ويلي ذٰلك في نفس الكتاب صلوات علىٰ النبي ﷺ، قال: (عن محمد بن عباس ﷺ: مكثت ثلاثاً وستين سنة وأنا مجاور عند قبر الحسين وكنت في كل ليلة جمعة أسمع هاتفاً من داخل القبر يصلي بهٰذه الصلوات، من قرأها لغالب يوم الاثنين إلىٰ يوم الخميس اثنتي عشرة مرة في كل يوم فإنه يقدم عليه غائبه، أو يرىٰ أو يسمع خبره، ومن كان له مسجون يقرؤه اثنتي عشرة مرة في كل ليلة، فإنه يتخلص، ومن كان مريضاً عافاه الله، ومن كان في نفسه حاجة من سفر أو هم أو غم، وقرأ هٰذه الصلوات علىٰ النبي ﷺ سهل الله له حاجته، وكل الخلائق من الإنس والجن لا يقدرون أن يكتبوا ثوابه، وإن كانت هٰذه الصلوات في جماعة لم يحتاجوا لمخلوق، وإذا مشىٰ قارئها في سفر أو غيره لم يقربه شيء، ومن أراد المحبة والرفعة بين الناس وقضاء الحوائج وسعة الرزق والبركة في عمره ويقضىٰ دينه، فليقرأ هٰذه الصلوات).

وفي الكتاب أيضاً: (من فاتته صلاة في عمره فلم يحصها، يصلي أربع ركعات بتشهد واحد في آخر جمعة من رمضان، قال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي كفارة أربعمائة سنة»، قال علي: هي كفارة ألف سنة). وهٰذا حديث مكذوب، والصلاة المذكورة محرمة؛ لأنها بدعة وزيادة في الدين، وتحمل بعض المسلمين علىٰ ترك الصلوات اتكالاً عليها.

والخلاصة أن هٰذا الكتاب مليء بالخرافات والكذب علىٰ رسول الله والصحابة رضوان الله عليهم، وفيه التشجيع علىٰ المعاصي. ولا شك أن الدعاء والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ أمر مطلوب، ولٰكن هٰذا

الحشو وهٰذه الزيادات وهٰذه البدع انحراف عن الطريق، ويكفي المسلمين ما جاء في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة، ولٰكن أبىٰ المتصوفة والزنادقة إلا أن يزيدوا في الدين ما ليس منه ويكذبوا علىٰ رسول الله ﷺ. إنهم يريدون إشغال المسلمين وصرفهم عن دينهم الصحيح المبني علىٰ الوسطية والاعتدال، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**إِنَّ كَذِباً عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَىٰ أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1].

ومن المؤسف أن هٰذه الخرافات قد عمت وطمت في العالم الإسلامي، وقد استغل بعض الصوفية الشباب المتدين، فأرادوا أن يشغلوه بهٰذه الخرافات، فقد جاءت شابة جامعية إلىٰ الشيخ صلاح أبي إسماعيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصر، وعرضت عليه وِرْداً يسمىٰ «الورد الكبير» للدسوقي، وفيه ألفاظ غير مفهومة وبعضها ليست عربية، وقالت الشابة: إن أحد المشايخ أعطاها هٰذا الورد، وتقرأ بعض الكلمات فيه سبعين ألف مرة، مما أصابها بالدوار. وقد رأيت الشيخ صلاح أبا إسماعيل وهو يخطب الجمعة في مسجد أنس بن مالك بالقاهرة يناشد مشايخ الصوفية أن يتقوا الله في هٰؤلاء الشباب، ويتقوا الله في دينهم. ومن هٰذه الألفاظ التي جاءت في الورد كما كان الشيخ صلاح يقرؤها (دد ده كردد ده ده، يا سقفا طيس واضم أدم لنا، انتشلني من أوحال التوحيد واقذفني في بحار عين الوحدة، أحمي حميسة، أطمي طميسة)

وإني أتساءل هنا: أين دور العلماء ـ وما أكثرهم! ـ في القضاء علىٰ هٰذه الخرافات التي استمرت إلىٰ اليوم؟ إنهم يتحملون المسؤولية أمام الله وهو سائلهم عن عملهم، وإن هٰذه الأمة ستتعلق بأعناقهم إن لم يخرجوها من جهلها بالدين.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) «صحيح البخاري» (رقم ١٢٢٩)، و«صحيح مسلم» (رقم ٥).

النصب والاحتيال باسم الدين

حدث أن ملئت صناديق البريد برسائل تلقاها المسلمون الهنود من بلادهم، ومع كل رسالة كيس صغير بحجم كيس شاي ليبتون، فيه حبات سكر وورقات ورد ناشفة، وأعلىٰ الرسالة صورة ضريح، ومكتوب في الرسالة ما ترجمته (هٰذا العرس السنوي مناسبة مقدسة، وهٰذا الاحتفال سنوي في العالم الروحاني، وفي هٰذه المناسبة المباركة تنزل شآبيب من غيوم كرم أولياء الله، وتتلاطم أمواج بحر السخاء، وتتقدم الأماني وتفوز أردية الرجاء، وتملأ لآلي المقاصد، وسوف تبدأ مناسبة عرس خواجة معين الدين جشتي أجميري. إن العشاق يتوافدون صفر اليدين، ويرجعون ظافرين غانمين بلآلي المقاصد، إن قطرة من غيوم كرمهم تجعل أرض الرجاء القاحلة مخضرة، وعليك أن تحضر إلىٰ أعتاب هٰذه الأستانة، وتفوز بالتمنيات القلبية، وإلا فإنه يمكن لك ولأقاربك ولأصدقائك كل حسب استطاعته أن يشارك في أعمال النذور، وقراءة الفاتحة والكسوة، والرداء والزهور والحلويات، وختم الأوراد والقرآن، خواجه كان جشت والميلاد الشريف، لأن تسعة أيام مخصصة لفاتحة «غريب نواز» وإذا أردتم المشاركة في أعمال النذور والفاتحة، فأرجو إرسال المبلغ عن طريق الشيك بالبريد المسجل، وسوف يتم إرسال التبركات بعد مناسبة فاتحة العرس إليكم، وبلغوا السلام للحضور وإلىٰ محبي الشيخ خواجه).

ومثل هٰذه الخرافات كثيرة في بلاد المسلمين، وقد دخلت عليهم

بحكم مجاورتهم لأصحاب الأديان الأخرىٰ، واستغل الدجالون والنصابون وأهل الشعوذة حب المسلمين للأولياء الصالحين، فأوهموهم أنهم إذا نذروا النذور للأولياء سينالون البركات، فأصبح العمال المساكين الذين لا يكاد الواحد منهم يحصل علىٰ ما يقوم بحاجته، ولا يعيش عيشة كريمة ومعقولة، ضحية لسدنة الأضرحة، والقائمين عليها، فيقتطعون من أرزاقهم بوعود وهمية وكاذبة، وهٰؤلاء الذين يقدمون النذور، ويعتقدون في هٰذه الخرافات لا يدرون أنهم بهٰذا يخدشون أهم ما يجب أن يحرص عليه الإنسان المسلم، وهو عقيدته النقية من كل الشوائب، إلىٰ جانب فقده لماله. وبعض الناس يبررون هٰذه الخرافات بالنية الصالحة، وينسون أن الأعمال إذا كانت فاسدة لا تنفعها النية الصالحة، فالشرك أول ما بدأ بنية صالحة، فالأصنام يغوث ويعوق ونسر كانوا رجالاً صالحين غلا الناس في تقديسهم حتىٰ عبدوهم[1].

إن للخرافات جاذبية، والناس يقلد بعضهم بعضاً، ثم يتمادون فيها إذا لم يقم أهل العلم بمسؤوليتهم، فقد قال بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]. وقال بعض المسلمين للرسول ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[2].

إنها لمسؤولية كبرىٰ تقع علىٰ عاتق كل مسلم أوتي حظاً من العلم نحو إخوانه المسلمين من ضحايا الجهل والخرافة والنصابين والمشعوذين، أن يرشدهم إلىٰ عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام، وينبههم إلىٰ ما علق بها من الشوائب، وتقع مسؤولية كبرىٰ أيضا علىٰ الأجهزة المسؤولة عن

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٤٦٣٦).
(٢) «سنن الترمذي» (رقم ٢١٨٠) وصححه الألباني.

الوعي والثقافة بأن تعمل علىٰ تنوير المسلمين، وإرشادهم إلىٰ العقيدة الصحيحة، وتحذيرهم مما يضر بعقيدتهم، فإن قاموا بذٰلك فإنهم سيكونون قد نهضوا برسالتهم وأدوا واجبهم نحو تثقيف المسلمين وتوعيتهم، وليكن ذٰلك بأساليب جذابة ومقبولة، والله من وراء القصد.



برّ الوالدين

اهتم الإسلام أعظم اهتمام بمعاملة الإنسان لوالديه، فوجهه إلىٰ ما يجب عليه نحوهما باعتبارهما السبب في وجوده، وتحملا المشاق من أجله، وأحاطاه بالرعاية والحفظ في مراحل حياته إلىٰ أن بلغ أشده، وصلب عوده، وكمل عقله، ومن هنا نعرف الحكمة في اقتران الأمر ببر الوالدين بالأمر بتوحيده سبحانه وتعالىٰ، فإن الوالدين هما اللذان هيأهما الله وحملهما رعاية هٰذا المخلوق وحفظه والسهر عليه، فاستحقا ذٰلك الإحسان الذي أمر الله به، قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣]. فنجده في هٰذه الآيات يأمر بعبادته وحده، وينهىٰ عن الشرك به، ويربط ذٰلك بأمره بالإحسان إلىٰ الوالدين، فقرن حقه سبحانه بحقهما، فأي مكانة أسمىٰ من هٰذه المكانة للوالدين عند الله؟!.

إن وضعهما في هٰذا الموضع في آياته، وإحلالهما هٰذا المحل في أمره ونهيه لهو أعظم إجلال وتكريم لهما، فمن يجرؤ بعد ذٰلك علىٰ إنزالهما من هٰذه المنزلة السامية، وهٰذه المنزلة الرفيعة العالية.

إن الذي يتجرأ علىٰ ذٰلك بإهانتهما، وبالحط من قدرهما فإنما يتجرأ علىٰ الذات العلية، ويتمرد علىٰ قضاء الله، وهو بذٰلك يقضي علىٰ نفسه بالذل والهوان، ويعرضها لغضب الملك الديان.

إنك أيها المسكين إذا غاضبت والديك فإنك لا تقوىٰ علىٰ مغاضبة

قيوم السماوات والأرض، العزيز الجبار الذي يغضب لغضبهما عليك ويرضىٰ لرضاهما عنك، وهو الذي نهاك عن توجيه كلمة (أُفٍّ) لهما، فما بالك إذا أغضبتهما بأعظم من ذٰلك، فقطعت عنهما إنفاقك عليهما ومساعدتك لهما، أو قطعت زيارتهما، أو رميت بهما أو أحدهما في بيت من بيوت العجزة، وذهبت في أشغالك معرضاً عنهما ومهملاً لهما، وكأن ليس لك والد أو أم علىٰ قيد الحياة.

إن الله سبحانه وتعالىٰ قد جعل القيام علىٰ الوالدين وبرهما جهاداً في سبيله، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: **أَحَيٌّ وَالِدَاكَ**؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»[1].

والقيام علىٰ الوالدين وبرهما من أطيب الأعمال وأحسنها عند الله، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلىٰ اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلاةُ عَلىٰ وَقْتِها**. قَالَ: ثُمَّ أَيّ؟ قَالَ: **ثُمَّ بِرُّ الْوالِدَيْنِ**. قَالَ: ثُمَّ أَيّ؟ قَالَ: **الْجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ**»[2]، وفي حديث آخر: «**لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ**»[3]. وللأم في الإكرام والتقدير درجة علىٰ الأب ومكانة خاصة فقد جاء إلىٰ رسول الله ﷺ رجل فقال: «يَا رَسُولَ الله! مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **أُمُّكَ** . قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **أُمُّكَ** . قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **أُمُّكَ**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ أَبُوكَ**»[4]؛ وذٰلك لأن الأم كانت أشد تعباً في حمل ولدها ورضاعته وتربيته، قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٢٨٤٢)، و«صحيح مسلم» (رقم ٦٦٦٨).
(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٥٠٤) واللفظ له، و«صحيح مسلم» (رقم ٢٦٢).
(٣) «سنن الترمذي» (رقم ٢١٣٩) وحسنه الألباني.
(٤) «صحيح البخاري» (رقم ٥٦٢٦)، و«صحيح مسلم» (رقم ٦٦٦٤).

وأمر الرسول ﷺ ببر الوالدين وصلتهما وبرهما واحترامهما، ولو كانا علىٰ غير دين الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان]، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ (أي: طامعة فيما عندي تسألني الإحسان إليها)، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: **نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**»[1].

وقد جعل الإسلام عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، وقرنه بالإشراك بالله كما قرن الإحسان إليهما بعبادته، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: **أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟** ثَلاَثاً. قَالُوا: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ،** وَجَلَسَ، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَقَالَ: **أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ.** قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ»[2].

ومن أعظم أنواع العقوق سبّهما، وقد جعله الإسلام ذنباً يستحق صاحبه لعنة الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ**»[3].

بل عدّ رسول الله ﷺ التسبب في سبهما سباً لهما وجعله كبيرة من الكبائر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ.** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: **نَعَمْ؛ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[4].

نسأل الله أن يجعلنا من البارين بوالديهم، ونسأله أن يغفر لنا ولوالدينا، ويجمعنا بهم في الفردوس الأعلىٰ من جنته.

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٢٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (رقم ٢٣٧٢).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٥٩١٨)، و«صحيح مسلم» (رقم ٢٦٩).

(٣) «صحيح ابن حبان» (رقم ٤٤١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم ٢٤٢١).

(٤) «صحيح مسلم» (رقم ٢٧٣).

خطر المربيات الأجنبيات علىٰ مستقبل الأطفال

أصدر مكتب التربية العربي للخليج في فترة سابقة دراسة عن المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي، وتبين من هٰذه الدراسة البحثية أن حوالي (٦٠٪) إلىٰ (٧٥٪) من المربيات غير مسلمات، وأن المعتقدات الدينية للمربيات الأجنبيات هي حسب الترتيب: المسيحية، ثم البوذية، ثم الهندوسية، وأخيراً الإسلام. وأوضحت الدراسة أن (٩٧.٥٪) يمارسن الواجبات الدينية طبقا لديانتهن.

وتشير النتائج التي أوردتها الدراسة أن المجتمعات التي تنتمي إليها (٥٨.٦٪) من المربيات تحبذ ممارسة الحب والعلاقات العاطفية الجنسية قبل الزواج. وفي الاستطلاع الذي قدم لتحري القيم والعادات والتقاليد لدىٰ شريحة من المربيات الأجنبيات والخادمات قرر أن (١٤٪) منهن يستقبلن أصدقاءهن في البيوت، وقرر أن (٨.٧٪) يقمن بزيارة أصدقائهن في مساكن الأصدقاء، و (٤.٣٪) يشربن الخمر، و (٧٪) يدخن السجائر.

وقد أظهرت النتائج للدراسة الميدانية والوثائقية، أن قرابة (٢٥٪) من أطفال الأسر التجريبية يقلدون المربيات في اللهجة، وأن أكثر من (٤٠٪) منهم تشوب لغتهم لغة أجنبية ويتعرضون للمضايقات من أقرانهم بسبب ذٰلك. وأشارت الدراسات إلىٰ أن وجود المربية الأجنبية التي لا تجيد الإلمام باللغة العربية يعد سداً يعوق نمو الأطفال؛ إذ يضطر الطفل إلىٰ محاكاتها مستخدماً ومستعملاً تراكيب ومفردات لغتها التي يتعلمها من خلال الاحتكاك والتعامل معها. وإذا عرفنا أن اللغة ليست وسيلة تخاطب

فحسب، وإنما هي الوعاء الثقافي والحضاري، قدرنا مدىٰ تأثير المربية من هٰذه الناحية في تكوين شخصية الطفل. وأوضحت الدراسة الميدانية أن وجود مربية في الأسرة يعتمد عليها الأطفال في قضاء احتياجاتهم في طفولتهم المبكرة، يقلل من فرصتهم المتاحة في التجربة الذاتية والاعتماد علىٰ النفس بالنسبة للأطفال في الأسر التي لا تستعين بالمربيات.

وبينت الدراسة أن أسباب إنهاء خدمات المربيات والعاملات تعود إلىٰ أن الخادمة تنتقم من الأسرة في أشخاص أطفالها الأبرياء، فتسيء إليهم، وتعذبهم في غياب أمهاتهم بنسبة (٢٥٪)، كما بينت الدراسة أن اختلاف الطباع يؤدي إلىٰ التصرفات المستنكرة، والتي يتأثر بها بعض أفراد الأسرة بنسبة (١٤٪)، ووجود الخدم والمربيات كعناصر غريبة في البيت يزيد من أعباء الأسرة، ويؤثر علىٰ راحة البيت النفسية، وتكون مصدراً للمشاكل بنسبة (١٩٪)، وإذا كانت للمربيات هٰذه السلبيات، فما هي الدوافع التي أدت إلىٰ استقدامهن؟. وتدل الدراسة إلىٰ أن أهم الدوافع هي:

١. ارتقاء مستوىٰ المعيشة.

٢. خروج المرأة للعمل.

٣. زيادة الطموحات الأسرية.

٤. عنصر المحاكاة.

لا ريب أن أكبر ضحية لهٰؤلاء المربيات هم الأطفال المسلمون، لما يترتب عليه آثار سلبية بالنسبة للجانب الديني والتنشئة الاجتماعية للأطفال. وينبغي أن نلحظ أنه إذا كانت مصادر التنشئة متجانسة ومتفقة ومتوافقة فإن ذٰلك يقلل من الصراع والخلط عند الأطفال، أما إذا كانت غير متجانسة ولا متوافقة فإن هٰذا ينعكس علىٰ الأطفال، فإن المربية التي تختلف تماماً عن الأسرة في الثقافة والعادات والدين واللغة إما أن تقوم منفردة بتنشئة

الطفل وتغرس فيه ثقافتها وعاداتها ودينها ولغتها، أو تشترك معها الأسرة فيكون هناك تصادم وتعارض وخلط عند الطفل، وكلا الحالين فيهما خطورة علىٰ الطفل وتنشئته.

فوجود المربيات غير المسلمات يؤدي إلىٰ خلق جيل لا ينتمي إلىٰ الإسلام، فيكون جيلاً ممسوخاً ليس له مقومات، جيل كجيل البغال مقطوع الاتصال.

إن وحدة الثقافة والدين هي الأساس الوحيد في المحافظة علىٰ كيان الأمة. وإذا كان البعض لا يهمهم أمر الدين والعقيدة فليهمهم أمر الوطن، وإذا لم يهمهم أمر الوطن فليهمهم علىٰ الأقل مصالحهم الخاصة وحسن علاقتهم بأبنائهم، فإذا شبّ الأولاد في أحضان المربيات فإنهم لن يشعروا بشعور الأبوة والأمومة الصادقة تجاه آبائهم وأمهاتهم، بل سيكون بينهم انفصال روحي وثقافي واجتماعي، مما ينعكس علىٰ علاقتهم بهم.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.



الأبوة المزيفة

الله أعلم بعباده، فلا يحرّم شيئاً إلا وفي تحريمه مصلحة ومنفعة للعباد، لأنه هو الذي خلقهم ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك] .وقد حرّم التبني، وهو أن يُلحق الولد بأب غير أبيه. وقد كان العرب في الجاهلية يبيحون ذٰلك حتىٰ جاء الإسلام ونزل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ﴾ [الأحزاب: ٤ ـ ٥].

ويرىٰ بعض الناس أن عملية التبني إنسانية، وأنه من الرحمة والعطف علىٰ الطفل الذي فقد الأب أن يلحق بأسرة ترعاه وتعتبره ابناً لها، وفي الغرب توسعوا في موضوع التبني، فأباحوا لكل شخص رجل أو امرأة أن يتبني ما شاء من الأطفال، لأنهم لا يهتمون بمسألة الأنساب واختلاطها، ونظروا بزعمهم نظرة إنسانية، وفتحوا الباب علىٰ مصراعيه، فكان الناس الفقراء يبيعون أولادهم ليتبناهم الأثرياء الذين حرموا من الأولاد، فحلوا مشكلة هٰؤلاء الذين حرموا من النسل ليمارسوا عاطفة الأبوة والأمومة، واتسع نطاق هٰذا التبني وتطور حتىٰ أصبح تجارة، فاستغلوا حاجة الفقراء في آسيا وإفريقيا ودول أمريكا اللاتينية، ومما تكشفت عنه هٰذه التجارة المحرمة المغلفة بغلاف التبني ما حدث في هندوراس عن قيام عدد من الأجانب بتبني أطفال رضّع، ثم القيام ببيع أعضاء من أجسام الأطفال الرضع لاستخدامها في جراحات زراعة الأعضاء. وقال السكرتير العام

للرعاية الاجتماعية في هندوراس للصحف: إنه كان يعتقد في البداية أنهم أناس نبلاء، أخذوا هٰؤلاء الأطفال لأنهم يشعرون حقيقة بتعاطف معهم، غير أنه بمرور الوقت ظهر أنهم أرادوا بيع أعضاء من أجسام الأطفال لاستخدامها في جراحات زراعة الأعضاء. وذكرت الصحف: أن التحقيقات التي أجريت في عدد من القضايا كشفت أن أطفالاً تم تبنيهم قد استخدموا في عبادة الشياطين، والاعتداءات الجنسية، وذكر محامون: أن مئات من الأزواج والزوجات الأمريكيين يزورون هندوراس بسبب الإجراءات السهلة نسبياً الخاصة بالتبني.

فهٰذه العواطف الكاذبة، وهٰؤلاء الآباء المزيفون.

والأطفال في الغرب يتعرضون الآن لأنواع من القسوة والاغتصاب، والخطف والاعتداء الجنسي. نحن لا نستطيع أن نتجنب هٰذه الانحرافات في مجتمعاتنا إلا إذا حافظنا علىٰ قيمنا الإسلامية وغرسها في شبابنا، ولم ننجرف مع التيار، ولم نتخل عن شريعتنا الربانية.

لقد انجرفت البشرية عن الطريق السوي عندما أرادت أن تشرّع لنفسها تشريعات بعيدة عن منهج الله، فهٰؤلاء الأطفال تعرضوا لأنواع من القسوة والوحشية ممن أرادوا أن يعطفوا عليهم ويضفوا عليهم الحنان والرحمة، فلا أرحم ولا أحسن علىٰ العباد من ربهم وخالقهم، الذي شرع لهم ما ينفعهم، وما يدفع عنهم الأذىٰ والضرر في دنياهم وأخراهم.

❁ ❁ ❁ ❁

في هٰذا الزمن انكفأ الأخيار وتمادىٰ الأشرار

يلحظ أن الباطل تزداد قوته وأهله يتكاثرون في حين أن الحق يتوارىٰ وأهله يقلون، يلحظ ذٰلك علىٰ كل المستويات سواء السياسية أو الاجتماعية أو الأدبية، فالصهيونية تتحكم في السياسة الدولية، فهٰذه فلسطين طُرِد أهلها، والمسجد الأقصىٰ لم يعد للمسلمين فيه نفوذ، والذين يصلون فيه غير مطمئنين، واليهود يهددون بإقامة الهيكل فيه، وكل من يريد أن يرفع صوته بالحق ويقاوم الأعداء جاء أناس من لحمه ودمه وعسفوه وظلموه حتىٰ يخضع لما يجري من ظلم في هٰذا العالم، وتشجع أذناب القوىٰ الكبرىٰ وبقايا الشيوعيين واليساريين في البلاد العربية والإسلامية علىٰ التهجم علىٰ الإسلام وأحكامه، وإثارة الفتنة عن طريق نشر الكتب والروايات التي تسخر من الدين وتحتقر المقدسات تحت اسم الإبداع وحرية التعبير، فذهبوا يبعثون الكتابات التي تطعن في الدين وتدعو إلىٰ الفساد الأخلاقي، والتي كتبت في عهد هيمنة الإلحاد في بعض الدول، ويحتجون أن هٰذه الكتابات قديمة فلا ينبغي الاعتراض علىٰ نشرها الآن، فلا مانع عندهم أن يعاد نشر الكفر والإلحاد والسخرية من الدين في المجتمعات الإسلامية، لأنهم لا يستطيعون اليوم أن يكتبوا كما كتب أساتذتهم الملحدون، وهم في الحقيقة يخفون ضعفهم ويخفون إلحادهم وكفرهم ويريدون إظهار ذٰلك بأسماء غيرهم ولٰكن الشعوب لا تخفىٰ عليها هٰذه المحاولات اليائسة.
وقد أتاحت بعض الأنظمة للملحدين أن يتطاولوا علىٰ الإسلام في

كتاباتهم ومحاضراتهم ومؤتمراتهم علىٰ الرغم أن دساتير هٰذه البلدان تنص بأن الإسلام هو دين الدولة، ولٰكن هٰذه الحكومات تجعل من الدستور ورق (كلينكس) يمسح به معوقات ما تريد الحكومة أن تفعله، أما بقية الأمور فلا يهم تطبيق الدستور فيها، ولذٰلك كل من أمر بالمعروف أو نهىٰ عن المنكر قالوا عنه متطرفاً حتىٰ لو كان نصحه من غير عنف ولا شدة في القول؛ ولذا زاد الظلم وانتشر الفساد وتحكمت المحسوبية، فلا عدل ولا إنصاف، فالأشرار يعربدون ويأكلون أموال الناس بالباطل، والأخيار مطاردون ومعذبون، يحاربونهم في أرزاقهم ويضايقونهم في أعمالهم، فهٰذا هو الزمن الذي جعل الصالحون يتمثلون فيه بما يروىٰ عن علي بن أبي طالب:

وَزَمَـانٌ بَـكَـيْـتُ مِـنْـهُ فَـلَـمَّـا صِرْتُ فِيْ غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ

تفتح الأبواب أمام النفاق والظلم والفساد، وتغلق أمام أهل الحق والشهامة والعدل والصلاح، يا لها من مأساة في هٰذا الزمان، فمتىٰ يعود الناس إلىٰ الحق، ويميز المذنب من البريء، ويعاقب المجرم علىٰ إجرامه، ومتىٰ يقال للمسيء أسأت وللمحسن أحسنت؟!!

ولذٰلك سلط الله الظالمين بعضهم علىٰ بعض، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام].

ومن المؤسف ألّا تجد من يقول كلمة الحق، وإذا سكت الإنسان عن قول الحق وجامل الظالم فهو مثله في الظلم، يقول الله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]، قال القرطبي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: «أي: أصدقاء وأنصار وأحباب. قال ابن عباس: يريد أن المنافقين أولياء اليهود .﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: ناصرهم ومعينهم.

والمتقون هنا: الذين اتقوا الشرك والمعاصي»[1].

فما دام هناك شريعة تبين الحق من الباطل ولها أحكامها الواضحة في كل أمر من الأمور ونحن ندّعي أننا مسلمون فعلينا اتباع ما تمليه علينا أحكام الشريعة وما بينته وأوضحته، ولا ننحرف عنها إلىٰ أفكار الآخرين وأهوائهم.

والغريب في هٰذا الزمن أن يتعرض علماء أجلاء للهجوم من قبل من يسمون أنفسهم بالمثقفين، وتشن عليهم حملات إعلامية في الصحافة والإذاعة والتلفزيون، وكل ذنبهم أنهم يبينون للناس ما ينفعهم وما يضرهم وما يقربهم إلىٰ الله، ويدافعون عن الحق وعن المقدسات، في حين أن كل من يحارب الإسلام ويدعو إلىٰ الكفر والإلحاد يشاد به في الصحافة وأجهزة الإعلام التي يشرف عليها أمثالهم المستترون في مناصبهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، إننا ندعو هٰؤلاء إلىٰ الحق، والرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/١٦٤).

الرجوع إلىٰ الحق خير من التمادي في الباطل

في فرنسا قامت مجموعة من حالقي الرؤوس ممن ينتمون إلىٰ الجبهة الوطنية بالاعتداء علىٰ شاب مغربي وهو يمشي في الطريق؛ ورموه في النهر ليموت غرقاً علىٰ مرأىٰ ومسمع من سلطات الأمن، كما اعتدوا أيضاً علىٰ امرأة عربية حامل وهي في الشارع ذاهبة إلىٰ بيتها؛ فأوقفوها باعتبارهم من رجال الأمن ليتحققوا من شخصيتها، كما قتلت مجموعة أخرىٰ شاباً من جزر القمر في مرسيليا وهو يمشي في طريقه. ماذا يفيد أن يأتي الزعيم الاشتراكي الراحل (متران) بعد ثلاثة أيام ليرمي ببساطة ورداً في النهر في المحل الذي غرق فيه الشاب لإظهار تعاطفه مع العرب واستنكاره للعنصرية، ولٰكن مازال العرب يذكرون (متران) نفسه عندما فازت جبهة الإنقاذ في الجزائر في تسعينيات القرن الماضي هدد بالتدخل العسكري إذا تسلم الأصوليون ـ حسب زعمه ـ الحكم، وقد كان لقوله هٰذا أكبر الأثر في الحالة التي تعيشها الجزائر إلىٰ اليوم، ومازال العرب يذكرون أن الفرنسيين في الجزائر فعلوا الأفاعيل ـ اليمين واليسار علىٰ السواء ـ إبّان الاحتلال الفرنسي.

فأين هو إعلان حقوق الإنسان والمواطن ـ حسب زعمهم ـ الذي صدر بعد الثورة الفرنسية في ٤ آب/ أغسطس ١٧٨٩م، والذي تتصدره العبارة التي يرددها الكثير من الفرنسيين وغيرهم (يولد الناس أحراراً ومتساوين في الحقوق).

لقد جاء الإسلام بحقوق الإنسان وكرامة الإنسان ـ بحق ـ قبل

إعلانهم هٰذا بأكثر من ألف عام، لا عنصرية به ولا طائفية، ولا صغير ولا كبير، والحقوق والواجبات مصدرها واحد هو الله ﷻ لا يحابي ولا يجامل، بل هو الحق المبين والعدل المطلق، والمفاضلة فيها بين الناس بالتقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء]، وقال جل في علاه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]. هٰذه هي مبادئ الإسلام الخالدة، وما جاء الخلل في المجتمعات الإسلامية إلا بعد أن انحرفت عن مبادئ الإسلام، وبعضها أخذ يلهث وراء الحضارة الغربية فلم يصب هٰذا أو ذاك، وليس المسلمون حجة علىٰ الإسلام؛ بل هو الحجة عليهم.

فالعدل لا يكون في المجتمعات إلا إذا ارتفع الإنسان فوق غرائزه وتمسك بالحق وحَكَم بالعدل، أما إذا سيطرت الغرائز والأهواء فلا يكون هناك إلا الظلم والاستبداد ثم الانهيار والدمار بعد ذٰلك، فلا تستقيم الأمور في المجتمعات إلا بإقامة ميزان العدل، ولذٰلك قال الإمام ابن تيمية: (إن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ويخذل الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة)[1].

في إحدىٰ البلاد العربية التي تطبق القانون الفرنسي المأخوذ من القيم الجمهورية، نظرت المحاكم في قضية رجل اغتصب اثنتي عشرة فتاة قاصرات للمرة الثانية بعد أن أطلق سراحه، حيث كان مسجوناً في قضايا اغتصاب مماثلة حكم عليه بالسجن لمدة ١٤ سنة، وأفرج عنه بعد أن قضىٰ ربع المدة، ثم عاد يكرر فعلته. فهل كان بإمكانه أن يكرر فعلته إذا طبق

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦٣/٢٨).

عليه حكم الشرع الإسلامي بدلا من القانون الوضعي؟ إن علىٰ المسلمين أن يتخلصوا من التبعية للغرب، وأن يقبلوا علىٰ دينهم ويتمسكوا به.

إن الرجوع إلىٰ الحق فضيلة، الرجوع عن الخطأ والاعتراف به من صميم ديننا، ومن تراثنا الذي تنكر له كثير من أبناء المسلمين اليوم، يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ في خطابه لواليه أبي موسىٰ الأشعري: «وَلَا يَمْنَعْكَ مِنْ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ الْيَوْمَ فَرَجَعْتَ فِيهِ لِرَأْيِكَ، وَهُدِيتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْحَقَّ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ لَا يُبْطِلُ الْحَقَّ شَيْءٌ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ»[1].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «سنن الدارقطني» (رقم ١٥) و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي (رقم ٢٠١٥٩)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٦١٩).

خطر الفضائيات

لاشك أن الوسائل الإعلامية كالفضائيات أتاحت للناس المعرفة والثقافة وسهولة الوصول إلىٰ المعلومات، ولٰكن المؤسف أن بعض المسؤولين عن هٰذه الوسائل أبوا إلا أن يجعلوها مجالاً للفساد في الأرض بالأفلام الخليعة والعري والتبرج والرقص المشين، وأصبحت النساء كاسيات عاريات، بل جعلوها محلاً للسحر والشعوذة، ونحن نرىٰ أن من واجبنا أن ننصح هٰؤلاء بأن يتركوا ما يغضب الله من أفكارهم وأعمالهم، حتىٰ لا يعرضوا أنفسهم لعقاب الله في الدنيا والآخرة، انطلاقاً من قول الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]، ومن قول الرسول ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[1].

إن علىٰ الإنسان أن يتقي الله وأن يخشاه، فالله يراقبه دائماً، قال تعالىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [النساء:١٠٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ [المجادلة:٧]، فهٰذه المعية تقتضي علمه سبحانه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم.

---

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٨٦).

إن أعداء الإسلام هم الذين يتسبّبون في الفتن والفساد، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة]، فهم يدَّعون أن هٰذه الأفلام والمناظر وما يرىٰ في هٰذه الفضائيات ليس فيه خطورة، ونقول لهم إن فيه تشجيعاً للفاحشة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَٰخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

وبعض ما يقدمونه هو في الواقع من لهو الحديث الذي قال الله عنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان]، فهم يقضون أوقاتهم في المسلسلات والأغاني التي بعضها فيها استهزاء بالدين والأخلاق، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

فالله سبحانه وتعالىٰ عندما أنزل قوله مخاطباً زوجات الرسول ﷺ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب:٣٣]، يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن النص القرآني يشير إلىٰ تبرج الجاهلية، فيوحي بأن هٰذا التبرج من مخلفات الجاهلية التي يرتفع عنها من تجاوز عصر الجاهلية وارتفعت تصوراته ومثله ومشاعره عن تصورات الجاهلية ومثلها ومشاعرها. والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان، إنما هي حالة اجتماعية معينة ذات تصورات معينة للحياة، ويمكن أن توجد هٰذه الحالة وأن يوجد هٰذا التصور في أي زمان وفي أي مكان، فيكون دليلاً علىٰ الجاهلية حيث كان. وبهٰذا المقياس نجد أننا نعيش الآن في فترة جاهلية عمياء غليظة الحس حيوانية التصور هابطة في درك البشرية إلىٰ حضيض مهين، وندرك أنه لا طهارة

ولا زكاة ولا بركة في مجتمع يحيا هٰذه الحياة ولا يأخذ بوسائل التطهر والنظافة التي جعلها الله سبيل البشرية إلىٰ التطهر من الرجس والتخلص من الجاهلية الأولىٰ»[1]. فما يجري في الفضائيات من هٰذه المناظر الخليعة وهٰذا العري والتبرج هو من الفساد، والفساد عام في نواحي كثيرة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف].

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «في ظلال القرآن» (ص ٢٨٦١).

قليلاً من الحياء

بعض الناس يأبىٰ إلا أن ينشر غسيله ويظهر أخص خصوصياته الداخلية التي تنبعث منها الروائح الكريهة، وتراه كأنه يدفعك ويلح عليك أن تضع يدك علىٰ أنفك حتىٰ لا تشم عفونتها، وأن تغمض عينيك حتىٰ لا ترىٰ قذارتها، فيتصرف كأنه ليس في مجتمع إنساني، ولا بين أناس يحافظون علىٰ أعراضهم، فهو يعد نفسه كواحد من قطيع من الحيوانات التي ينزو فيها الفحل علىٰ الأنثىٰ أمام كل الحيوانات.

ولو أنه فعل ذٰلك بنفسه سراً، فرمىٰ بنفسه في حمأة الأوساخ، ولم يؤذِ أعين الآخرين بمناظره القبيحة، ولا أسماعهم ببذاءته وسخافته الوضيعة؛ لكان الأمر هيناً، لٰكن أن يعتدي علىٰ حقوق الآخرين بإقحام سخافاته وسفاهته فيجاهر بذٰلك، فهٰذا لا يمكن التغاضي عنه بحال.

بعض الناس إذا هيئت له مثلاً فرصة لمقابلة في برنامج تلفزيوني، أو كان موظفاً لإجراء مقابلات تلفزيونية أو الإشراف علىٰ إخراج برنامج، فليس له أن يقول أو يفعل ما يشاء من سخافات وسيئات، وإذا كان لا يستطيع أن يميّز بين السيئة والحسنة، ولا بين الضار والنافع، فالأجدر به أن يترك غيره يقوم بهٰذه المهمة، بدلاً من أن يؤذي المشاهدين، ويسخطهم وهو يتقاضىٰ أجراً مجزياً علىٰ عمله هٰذا من أموال الأمة، والأمة لا تريد منه الإيذاء والسفاهة وخدش الأعراض، بل تريد منه تثقيف الجماهير وتوعيتها، وتقديم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، بعيداً عن السفاهات والتفاهات.

في مقابلة مع أحد الفنانين قالت له مقدمة البرنامج: ما رأيك في الحبيبة؟ ولما أجاب الفنان وفهم أنها تقصد الزوجة. استدركت المذيعة قائلة له بكل وقاحة: إنها لا تقصد الزوجة، ولٰكن تقصد العشيقة، وقالت له: ما هي أحلىٰ العيون؟ فأجابها: عيونك، وأخذا يتغازلان؛ وكأنهما في غرفة مغلقة. نقول لهٰؤلاء وأمثالهم: قليلاً من الحياء.

❁ ❁ ❁ ❁

الصحافة مسؤولية وأمانة

للصحافة دور مهم في توجيه الناس وإرشادهم، وكذا في التعبير عما يجيش في خواطر أفراده، وعن تطلعات الشعب وطموحاته، وقد عبر عن ذٰلك شوقي في زمانه بهٰذين البيتين:

لِــكُــلِّ زَمَــانٍ مَــضَــىٰ آيَــةٌ ... وَآيَـةُ هَـذَا الـزَّمَـانِ الـصُّـحُـفْ
لِسَـانُ الـبِـلَادِ وَنَـبْـضُ الـعِـبَـادِ ... وَكَهْفُ الحُقُوقِ وَحَرْبُ الجَنَفْ

ومن هٰذا المنطلق أصبحت الصحافة مسؤولية وأمانة فليست مظهراً أو وجاهة أو كسباً ماديًّا، فهي مسؤولة عن كلمة الحق بحيث لا تتبنىٰ إلا الموقف الصائب الصحيح، ولا تنطق إلا الكلمة الهادفة الصادقة، فلا تضلل، ولا تزيّف، ولا تجعل من أقلامها أبواقا للأشرار والجبابرة والنصَّابين والطامعين. وليست الصحافة دكّاناً مفتوحاً للزبائن يشترون الكلمة كما يشتري الزبون البضاعة، وليس لصاحب الصحيفة أو رئيس تحريرها أو المحرّر فيها الحرية المطلقة لينشر ما يشاء، أو يمنع ما يشاء.

قصدت من الكلام هنا أن ألفت نظر القرّاء إلىٰ واجب الصحافة وعظم مسؤوليتها، كما قصدت أن ألفت نظر أصحاب الصحف والمحرّرين أيضاً وأذكرّهم بالواجب الملقىٰ علىٰ كاهلهم، فيتأكدون بأن ما ينشر في صحفهم لا يضر المصلحة العامة ولا يضيّع حقًّا، ولا يفتأت فيه علىٰ أحد، وأن تكون الصحيفة معبّرة بصدق عن أحاسيس الشعب وأهدافه وتطلعاته، وأن ترفض أي اتجاه ضد أمانيه ومكاسبه المشروعة، وأن تنبهه

إلىٰ ما يحيق به من أخطار، وأن لا تساعد في تضليله بالكلمات التي تخفي الحقيقة، وتموّه الواقع من أجل الوصول إلىٰ ترسيخ مبادئ معينة لو كشفت لرفضتها الشعوب ور فض أصحابها.

فالصحافة الحقيقية هي التي تحمل الحقيقة وتبلغها بالكلمة الصادقة المخلصة، بعيدة عن النفاق والتزلّف، فما أعظم قول الحقيقة! وما أعظم الكلمة المخلصة التي تخرج من القلب السليم!.

فالصحافة رسالة ينبغي أن يحافظ عليها، فهي مسؤوليّة وأمانة.

❊ ❊ ❊ ❊

رباط الأخوة

المسلم الحقيقي يحسن إلىٰ أخيه المسلم، ولا يتتبع أخطاءه، ويحفظ لسانه من الطعن في إخوانه، ويحسن الظن فيهم، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

وعلىٰ المسلم أن يقف سداً منيعاً يذب ويدافع عن عرض أخيه وسمعته لاسيما إذا ذكر أمامه بما يكره، ولهٰذا يقول الرسول ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(1). وينبغي أن يكون الأخ واثقاً من أخيه مطمئناً إليه، فلا يؤول كلامه إلا بخير مادام يجد في الكلام مجالاً للتأويل الحسن، كما لا ينبغي للرجل أن يقول لأخيه في وجهه ما يكرهه إلا إذا كان علىٰ وجه النصح، فإن أخبر الرجل أخاه بعيب يتجنبه كان ذٰلك حسناً، والتوبيخ والتعيير بالذنب مذموم، قال الفضيل بن عياض: «المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير»(2). فالنصح يقترن بالستر، والتعيير يقترن بالإعلان.

قال الإمام الشافعي:

تَعَمَّدْنِيْ بِنُصْحِكَ فِيْ انْفِرَادِي ... وَجَنِّبْنِيْ النَّصِيْحَةَ فِيْ الجَمَاعَةْ

---

(1) «سنن ابن ماجه» (رقم ٢٥٤٦)، وصححه الألباني.

(2) «جامع العلوم والحكم» (ص ٨٢).

فَـإِنَّ الـنُّـصْـحَ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ نَـوْعٌ   مِنَ التَّوبِيْخِ لَا أَرْضَىٰ اسْتِمَاعَهْ
فَإِنْ خَـالَـفْـتَـنِـيْ وَعَـصَـيْـتَ قَـوْلِـيْ   فَـلَا تَـغْـضَـبْ إِذَا لَـمْ تُـعْـطَ طَـاعَـةْ

ومن المؤسف أن نرىٰ في هٰذا العصر الأحقاد والضغائن بين الأشخاص والطوائف بل وبين طلبة العلم، فأين هي رباط الأخوة الإيمانية التي تميز بها جيل الصحابة ﷺ؟ وكذا علماء السلف؛ كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل؟ فقد كانوا قدوة حسنة لا تجد بينهم شقاقاً ولا افتراقاً، كل منهم يثني علىٰ الآخر، ويحب له الخير، ويرددون قول الرسول ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1]، وقوله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ** ـ ومن هٰؤلاء السبعة ـ **رَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»[2]، وقوله ﷺ: «**مَا تَحَابَّ رَجُلاَنِ فِي اللَّهِ إِلاَّ كَانَ أَفْضَلَهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ**»[3]، وقال ابن عمر ﷺ: «لَقَدْ أَتَىٰ عَلَيْنَا حِيْنٌ ـ أو قال ـ زَمَانٌ وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِيْنَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيْهِ المُسْلِم، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ! هذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ**»[4].

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً وكذا السلف الصالح يمتثلون لهٰذه التوجيهات النبوية، تمثلوها في سلوكهم ومواقفهم، فمن مواقف الصحابة أنه كان بين سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد خلاف، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد فقال له سعد: «مَهْ؟ إِنَّ مَا بَيْنَنَا لَمْ

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ١٣)، و«صحيح مسلم» (رقم ١٧٩).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٦٢٩)، ومسلم (رقم ٢٤٢٧).

(٣) «المعجم الأوسط» للطبراني (رقم ٢٨٩٩)، وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (رقم ٣٠١٤).

(٤) «الأدب المفرد» للبخاري (رقم ١١١)، وقال الألباني: حسن لغيره.

يَبْلُغْ دِيْنَنَا»[1].

ومن مواقف السلف ما قاله الشافعي تواضعاً منه في حق أحمد بن حنبل رحمهما الله:

قَالُوْا: يَزُوْرُكَ أَحْمَدٌ وَتَزُوْرُهُ قُلْتُ: الفَضَائِلُ لَا تُفَارِقُ مَنْزِلَهْ
إِنْ زَارَنِيْ فَبِفَضْلِهِ، أَوْ زُرْتُهُ فَلِفَضْلِهِ، فَالفَضْلُ فِيْ الحَالَيْنِ لَهْ

رضي الله عنهم، ورحمهم الله أجمعين، فقد برهنوا علىٰ الأخوة الصادقة التي أمر الله بها المؤمنين.

والأخوة العامة بين المؤمنين ليست تفضّلاً وامتناناً من الأخ علىٰ أخيه، بل هي قاعدة أساسية من قواعد الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، ولذٰلك كانت للمؤمن علىٰ المؤمن حرمة عظيمة في نفسه وماله وعرضه، فعن ابن عباس ﵄ قال: «**نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ الكَعْبَةِ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَكِ حَرَاماً، وَحَرَّمَ مِنَ المُؤْمِنِ مَالَهُ وَدَمَهُ وَعِرْضَهُ**»[2]، وفي «الصحيحين» «**لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا** ـ وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[3].

نسأل الله تعالىٰ أن يقوي رابطة المؤمنين، ويجمعهم علىٰ الحق والهدىٰ، ويجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه سميع عليم.

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (رقم ٣٨١٠)، وقال في «مجمع الزوائد» (رقم ١١٩٧٥): رجاله رجال الصحيح.

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (رقم ١٠٩٦٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» في معرض كلامه علىٰ الحديث (رقم ٣٤٢٠).

(٣) «صحيح مسلم» (رقم ٦٧٠٦).

بين طنين الذباب وصهيل الخيل

لقد عجبت من بعض الأساتذة والمشايخ يضيّعون أوقاتهم وجهدهم في تأليف كتب وتسجيل أحاديث في أشرطة أقل ما يقال عنها أنها لا تزيد عن عبارات هجومية قاسية ضد بعض العلماء؛ ومنهم من توفاه الله وأفضىٰ إلىٰ ما قدّم، فقد خلت ألفاظهم من الأدب في التعبير كما فقدت الأمانة العلمية في النقل، وكل ما فيها حشو لا طائل تحته غير الشتم والاتهام وتزييف الحقائق، فهي تفرّق ولا تجمع، وتضر ولا تنفع، ولا تمتّ إلىٰ العلم بأيّ صلة، ولا يخرج القارئ أو المستمع منها بفائدة، بل قد يتقزّز من بعض العبارات الاستفزازية التي تدل علىٰ الرغبة في إثارة الخلافات والإحن والأحقاد بين طلبة العلم، وتشعر وأنت تقرأ أو تسمع لأحدهم أنه لا همّ له إلا التنقيص من الآخرين، والادّعاء بأنه العالم الأوحد الذي يجب أن يتبع ويؤخذ بقوله في كل مسائل الفقه والحديث والعقيدة وكل ما يتصل بالدين، وعندما تسمع هٰذه الأفكار وهٰذه الآراء بتلك الألفاظ المقززة تسمعها بأصوات منكرة تردد الهجوم والطعن في العلماء والتنديد بآرائهم في مسائل خلافية تحتمل أكثر من رأي في إطار الكتاب والسنة وأقوال السلف وفقه الإسلام، ومع ذٰلك لا تسمع إلا التجريح والنقد مع نبرات الصوت المتشنّجة التي تظهر التعصب والاستفزاز.

فيا ترىٰ ما أسباب ذٰلك؟!!. . .

في نظري أن السبب الرئيسي يرجع إلىٰ أمور نفسية تتعلق بالشخص نفسه وتكوينه العقلي والمعرفي، فإن الملاحظ في أقوالهم ضعف الفكر

وضيق الأفق وعدم المعرفة بأساليب المناظرات والحوار العلمي، فلا يناقشون الأفكار من منطلق الأدلة الشرعية والعقلية بل من منطلق العاطفة والهوىٰ والتعصب وعدم الإنصاف. وفي الأزمان الرديئة وعصور الانحطاط الفكري يكثر أمثال هٰؤلاء الجاحدين الذين يتجاوزون بالكلمة الطيبة، ويغمطون الناس حقوقهم، وتبلغ ببعضهم الحقارة أن يستغل حالة الآخر ويتربص به الدوائر، فإذا لاحظ أنه لم يعد له نفوذ ولا سند من منصب أو جاه انقضّ عليه، وانهال عليه بكل ما يملك من قوة كما قيل: (إذا وقع الجمل كثرت السكاكين عليه)، خاصة إذا كان ذٰلك سيرضىٰ به من يطمع في رضاه من أهل النفوذ والسلطان، ولٰكن الرجال المخلصين الذين لا يخافون في الحق لومة لائم لا يبالون بأقوال هٰذه النكرات وغير المنصفين وأهل النفاق والمتزلّفين، ولسان حالهم يقول كما قال البحتري:

لَا أُبَالِيْ بِأَنْ يَغُصَّ بِمَا قُلْـتُ ... شَحِيْحُ الإِنْصَافِ فِيْ ضِيْقِ نَفْسِ
فَكَثِيْراً لَا يُقَالُ لِمَنْ أَحْسَنَ ... أَحْسَنْتَ فِيْ الزَّمَانِ الأَخَسِّ

والحسد من أهم الأسباب التي تدفع بعض الناس للتهجم علىٰ العلماء العاملين، قيل لابن المبارك: فلان يتكلم في أبي حنيفة؛ فأنشد لابن الرقيّات:

حَسَدُوكَ إِنْ رَأَوكَ فَضَّلَكَ اللّـَ ... ـهُ بِمَا فُضِّلَتْ بِهِ النُّجَبَاءُ[1]

فالحسدة والجهلة والمفلسون من القيم مثل الكلاب التي تعض الإنسان، ولٰكن الإنسان لا يمكن أن يقابل عضّها بالعضّ، وقد أنشد في هٰذا ثعلب:

شَاتَمَنِيْ عَبْدُ بَنِيْ مسْمَعٍ ... فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالعِرْضَا

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١٦٢/٢).

وَلَـمْ أُجِـبْـهُ لِاحْـتِـقَـارِيْ لَـهُ   وَمَـنْ يَـعُـضُّ الـكَـلْـبَ إِنْ عَـضَّـا

وإذا كان الحسد قد ملأ صدورهم بالغيظ فإن الله يقول: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ﴾ [آل عمران:١١٩]. و يتمثل المحسود بقول لبيد بن عطارد:

إنْ يَحْسُدُونِي فإِنِّي غَيرُ لَائِمِهِمْ   قَبْلِي مِنَ النْاس أهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

وإذا كان الحاسدون يهدفون إلىٰ تحطيم الكفاءات فإنهم يخدمون المحسود من حيث لا يريدون ولا يشعرون، قال المتنبي:

قَـصَـدُوا هَـدْمَ سُـورِهَـا فَـبَـنَـوْهُ   وَأَتَـوْا كَـيْ يُـقَـصّـرُوهُ فَـطَـالَا

وإذا كان هٰؤلاء الحاسدون ينشرون الأكاذيب والإشاعات فلا يلبث أن يستفيد منها المحسود بإظهار الحقيقة، قال أبو تمام:

وَإِذَا أَرَادَ الـلَّـهُ نَـشْـرَ فَـضِـيْـلَـةٍ   طُوِيَتْ أَتَاحَ لَـهَا لِسَانَ حَسُودِ

فالأعلام هم الذين يحسدهم الناس، أما اللئام فلا يحسدهم أحد، قال المغيرة شاعر آل مهلب:

إِنَّ الـعَـرَانِـيـنَ تَـلْـقَـاهَـا مُـحَـسَّـدَةً   وَلَا تَـرَىٰ لِـلِـئَـامِ الـنَّـاسِ حُـسَّـادَا

والغريب أن هٰؤلاء الحساد والذين يقعون في أعراض العلماء، ويتجنون علىٰ الناس ويسيئون الظن بهم هم من المنتسبين إلىٰ العلم الذين يعرفون قبل غيرهم ما قاله الله وقاله الرسول ﷺ في هٰذا الشأن، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا**»[1].

---

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٦٧٠٦).

والإسلام حث علىٰ ستر العورات بين المسلمين والأحاديث والآثار في ذٰلك كثيرة، منها قوله ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيْهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إِنَّكَ إِنْ تَتَبَّعْتَ عَورَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ تُفْسِدُهُمْ»[2]، وقوله ﷺ: «**إِنَّ الأَمِيْرَ إِذَا ابْتَغَىٰ الرِّيْبَةَ فِيْ النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ**»[3].

والإمام الشافعي يقول:

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحَيَا سَلِيْماً مِنَ الأَذَىٰ ... وَحَظُّكَ مَوفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ

لِسَانُكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَورَةَ امْرِئٍ ... فَكُلُّكَ عَورَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ

ومع ذٰلك فلابد من إبداء النصيحة، لأن «**الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ**». قاله ﷺ. وتمام الحديث: «قُلْنَا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ وَعَامَّتِهِمْ**»[4].

ولٰكن شتان بين من قصده النصيحة ومن قصده الفضيحة. وكان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهراً، ويحبون أن يكون سرًّا بين الآمر والمأمور، لأن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة.

فالإخلاص من الناصح يحقق الهدف من النصيحة، أما غير المخلص فتجده يداهن ويجامل الشخص في وجهه، وقد يمدحه ويظهر له الحب والاحترام، ولٰكنه عندما يتحدث في خطبة أو درس في ملأ من الناس يعرّض بذٰلك الشخص، ويتهجّم عليه، وينتقده بقسوة، وفي مثل هٰؤلاء يقول أحمد شوقي:

---

(١) «سنن ابن ماجه» (رقم ٢٥٣٦)، وصححه الألباني.

(٢) «سنن أبي داود» (رقم ٤٨٩٠)، وصححه الألباني.

(٣) «سنن أبي داود» (رقم ٤٨٩١)، وصححه الألباني.

(٤) «صحيح مسلم» (رقم ٢٠٥).

بِـقَـارِعَـةِ الـطَّـرِيْـقِ يَـنَـالُ مِـنِّـيْ   وَيُـوسِـعُـنِـي عِـنَـاقـاً فِـيْ الـزِّقَـاقِ

إنه ينبغي أن يعرف هٰؤلاء المندفعون في طريق التشدد والتعصب والمغرمون بإثارة الخلافات أن أعداء الإسلام يستغلّون تصرفاتهم هٰذه، ويسرّهم انشغال المسلمين بالصراعات المذهبية، ويعملون هم علىٰ ترسيخ أفكارهم العلمانية والإلحادية.

فإلىٰ متىٰ وكثير من المشايخ في غفلة عن خدمة الإسلام الخدمة الحقيقية؟ فليس من المحتّم أن يقفوا علىٰ رأي واحد، فإن طبيعة البشر الاختلاف في الرأي: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨]. لٰكن المنهي عنه في الشرع هو التنازع: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾ [الأنفال:٤٦].

ومن المؤسف أن كل ما نسمعه من هٰؤلاء لا يختلف عن طنين الذباب، وشتان بين طنين الذباب وصهيل الخيل، فطنين الذباب مؤذٍ ومنفّر، أما صهيل الخيل فيأنس به الإنسان ويشدّه.

فياليت هٰؤلاء بدلاً من أن يقفوا في وجه الدعاة المخلصين وإلحاق الأذىٰ بهم وبدلاً من الصراخ والضجيج وإثارة الزوابع أن ينصرفوا إلىٰ الاستزادة من العلم والمعرفة ليدعوا إلىٰ الله علىٰ بصيرة متسلحين بالعلم والحكمة وحسن الخلق، وليتصدوا لأعداء الإسلام، ويفندوا مطاعنهم ورد كيدهم إلىٰ نحورهم بالحجة والمنطق والبرهان، وليكن نصب أعيننا دائماً قول الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

فنسأل الله للجميع الهداية، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يلهمنا الرشد والسداد، ويوفقنا إلىٰ ما يحبه ويرضاه.

❊ ❊ ❊ ❊

من قال لك قال عنك

هناك مرض في بعض الناس يسعىٰ دائماً بالفتنة ومحاولة إفساد ذات البين، فلا يهدأ له بال حتىٰ يذهب إلىٰ شخص أو أشخاص فينقل إليهم حديثاً سمعه في أحد المجالس، فينقله مزيفاً أو مزوراً، وربما ينقله نقلاً صحيحاً؛ ليوغر الصدور ويفسد بين الناس. وهٰذا الشخص الناقل يقال له في اللغة والشرع النمام. وقد عرف العلماء النمام بأنه: من ينقل الحديث بين الناس علىٰ جهة الإفساد بينهم. ويعد هٰذا النمام في الشرع مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب بإجماع المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم]، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»[1]. وتعد النميمة نجاسة قلبية، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين قال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِيْ كَبِيْرٍ** ـ أي ليس بكبير في زعمها وليس بكبير تركه عليها ـ **أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَولِهِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِيْ بِالنَّمِيْمَةِ**»[2]. ووجه المقارنة أن أحدهما استسهل النجاسة فنجس جسده، والآخر نجس قلبه، فنقول عن النمام: هٰذا نجس أي نجس القلب والفكر. والمسلم الحقيقي حتىٰ لو سمع من شخص ما يسيء للآخر فليس له أن ينقل ما سمعه، ولو كان صادقاً في نقله، فإن ذٰلك لا يعفيه من صفة النمام وذنب النميمة.

---

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٣٠٣).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٢١٣)، و«صحيح مسلم» (رقم٧٠٣).

والرجل إذا سمع شيئاً عن أخيه وتأكد مما قيل فيه، فليناصحه ولا يذكر له من سمع منه.

أما أولٰئك الذين يأتون هٰذا بوجه وهٰذا بوجه فهٰؤلاء هم الأشرار؛ فقد قال النبي ﷺ: «**تَجِدُونَهُ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِيْ يَأْتِيْ هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ**»[1]، «**مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ الله لَهُ يَومَ القِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ**»[2]. ومعنىٰ ذا لسانين أي: يتكلم مع هٰؤلاء بكلام وهٰؤلاء بكلام هو بمعنىٰ صاحب الوجهين. قال الإمام الغزالي رحمه الله: «اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر علىٰ من ينم قول الغير إلىٰ المقول فيه، كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا، وليست النميمة مخصوصة به، بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو نقصاً في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية» وقال: «وكل من حملت إليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا، فعليه ستة أحوال:

أولها: ألّا يصدقه؛ لأنه نمام فاسق وهو مردود الشهادة. الثاني: أن ينهاه عن ذٰلك وينصحه ويُقبِّح فعله. الثالث: أن يبغضه في الله ﷻ، فإنه بغيض عند الله، ويجب بغض من يبغضه الله. الرابع: ألّا يظن بأخيه السوء، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات:١٢]. الخامس: ألّا يحمله ما حكىٰ له علىٰ التجسس والبحث لنتحقق، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات:١٢]. السادس: ألّا

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٣٣٠٤)، و«صحيح مسلم» (رقم ٦٧٩٨).

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (رقم ١٦٩٧) وغيره، قال الألباني في «صحيح الترغيب» (رقم ٢٩٥٠): صحيح لغيره.

يرضي لنفسه ما نهي النمام عنه، فلا يحكي نميمته. وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء فقال عمر: يا هٰذا إن شئت نظرنا في أمرك إن كنت كاذباً، فأنت من أهل هٰذه الآية ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦]، وإن كنت صادقاً، فأنت من أهل هٰذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم]، وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً. وروي: أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيت بثلاث جنايات: بغضّتَ أخي إلي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة»[(١)]، «وكان بعضهم يقول: من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك، وجاء رجل علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال: إن فلاناً شتمك وقال عنك: كذا وكذا. فقال: اذهب بنا إليه، فذهب معه وهو يرىٰ أنه ينتصر لنفسه، فلما وصل إليه، قال: يا أخي! إن كان ما قلتَ فيَّ حقًّا فغفر الله لي، وإن كان ما قلتَ فيَّ باطلاً فغفر الله لك، وقد قيل: إن عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة، وقال الحسن البصري رحمه الله: من نقل لك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلىٰ غيرك حديثك، وجاء في المثل من نقل إليك نقل عنك فأحذره، ومن قال لك قال عنك، وابن المبارك رحمه الله يقول: ولد الزنا لا يكتم الحديث، أشار به إلىٰ أن كل من لا يكتم الحديث ومشىٰ بالنميمة دل علىٰ أنه ولد زنا استنباطاً من قوله تعالىٰ ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم]. والزنيم هو الدعي، والنميمة هي سبب العداوات بين الناس، والحطب سبب انتقال النار؛ ولذٰلك سميت امرأة أبي لهب حمالة الحطب لأنها تنقل الحديث بالنميمة، تنقل بين الناس العداوة»[(٢)].

الذين يثيرون الفتن ويمشون بين الناس بالنميمة يظنون أنهم بذٰلك

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١٥٦/٣) بتصرف.

(٢) «الكبائر» (ص ١٦٠).

يحطون من قدر من ينالون منه، ولٰكن الحقيقة أنهم يرفعون من منزلته؛ لأنهم يعينونه علىٰ معرفة أخطائه والتخلص منها، قال الشاعر:

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَبْعَدَ الرَّحْمَنُ عَنِّيْ الأَعَادِيَا
هُمُوا بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِيْ فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِيْ فَابْتَغَيْتُ الْمَعَالِيَا

وقد أحسن المتنبي عندما قال:

وَمِنَ العَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ

وعلىٰ كلٍّ فإن علىٰ المسلم أن يحذر كل الحذر من النمام ولو كان أقرب قريب، ولو تظاهر بالخير، فإنه لو كان من أهل الخير لما نمَّ بالحديث، ولما أوغر قلبك علىٰ أخيك، وعلينا أن لا ننسىٰ المثل: (من قال لك قال عنك).

❊ ❊ ❊ ❊

لا ترمِ الناس بالحجارة وبيتك من زجاج

بعض الناس لا يهمه إلا توجيه النقد للآخرين، وأما هو فأعماله هي المتقنة السليمة التي لا تقبل الطعن ولا النقد، وهٰذا نوع من الغرور. والواقع أن قول كلمة الحق مطلوبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلوب، ولٰكن ينبغي للذي ينقد الناس ويرشدهم إلىٰ الحق أن يكون قدوة أولاً في الالتزام بالحق وإتقان العمل والإخلاص فيه، وإذا كانت المسألة أوامر يصدرها وهو أول من يخالفها، فذٰلك هو العبث، قال تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

وتتبع عورات الناس وعثراتهم وسقطاتهم غير محمود، لأنك إذا تتبعت عورات الناس تتبعوا عورتك، وخاصة إذا كنت ممن اجتمعت فيهم النواقص، وفي الحديث الشريف: «**يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ القَذَاةَ فِيْ عَيْنِ أَخِيْهِ وَيَنْسَىٰ الجَذْعَ فِيْ عَيْنَيْهِ**»[1].

فعلينا ألّا ننتقد الناس وأعمالهم إلا إن كان هناك مصلحة، علىٰ أن يكون النقد منطلقاً من قواعد الشرع، وملتزماً بضوابط الشرع أيضاً، لا بدافع التشفي والتشهي، وإلا جازاك الله من جنس عملك، فيتتبع الناس عوراتك وعيوبك ونقائصك وما أكثرها!

---

(١) «صحيح ابن حبان» (رقم ٥٧٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم ٢٣٣١).

يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحيَا سَلِيْماً مِنَ الأَذَىٰ وَدِيْنُكَ مَوفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ
لِسَانُكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَورَةَ امْرِئٍ فَكُلُّكَ عَورَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَايِباً فَدَعْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ
وَعَاشِرْ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحْ مَنِ اعْتَدَىٰ وَفَارِقْ وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

وأخيراً نقول: لا ترم الناس بالحجارة وبيتك من زجاج.

❊ ❊ ❊ ❊

«المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(١)

أوصت أعرابية ابنها عندما أراد السفر فقالت: «أي بني! اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدىٰ عليك من كثير من عقلك. إياك والنميمة! فإنها تزرع الضغينة وتفرّق بين المحبين، وإيّاك والتعرّض للعيوب فتُتَّخذْ غرضاً، وخليق ألا يثبت الغَرَضُ علىٰ كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كَلَمَتْه حتىٰ يهيَ ما اشتد من قوته، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريماً يلين لهزتك، ولا تهزز لئيماً فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، ومثِّل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرىٰ عيب نفسه، ومن كانت مودته بشره وخالف ذٰلك منه فعله كان صديقه علىٰ مثل الريح في تصرفها، والعذر أقبح ما تعامَلَ به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها»(٢).

كنّا نود أن تكون النساء العربيات علىٰ منوال هٰذه المرأة الأعرابية التي ليس عندها من الثقافة ما عند كثير من نساء اليوم، فما بالنا نجد نساءنا اليوم يشغلن أنفسهن بالنميمة والغيبة وكثرة الكلام فيما لا يفيد، فما تنطلق إشاعة كاذبة في البلاد وتبحث عن مصدرها إلا وتلاحظ أنها انطلقت بقوتها وعنفوانها من مجتمع نسائي، هٰذه الأم العربية توصي ولدها بمكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها، فتوصيه أن يبتعد عن العيوب حتىٰ لا

(١) «صحيح البخاري» (رقم ١٠).
(٢) «الأمالي في لغة العرب» (٨١/٢).

يتخذ غرضاً لأن الغرض لا يثبت علىٰ كثرة السهام، وإذا كانت المرأة لا تعتدي بيدها فإن أكثر اعتداءاتها علىٰ الغير بلسانها، والاعتداء باللسان قد يكون أبعد خطراً من الاعتداء باليد. وينسب لعلي رضي الله عنه:

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا الْتِئَامٌ وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ الِّلسَانُ

والرسول ﷺ لما قالت إحدىٰ زوجاته للأخرىٰ: إنها قصيرة قال لها: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»[1]، وقال الرسول ﷺ للذي سأله عن أعمال الخير كلها وعما يدخله الجنة ويباعده من النار بعد أن أخبره بكل ذٰلك قال له: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**. قَالَ الرَّجُلُ: بَلَىٰ، يَا رَسُولِ الله! قَالَ: **كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**. وَأَشَارَ إِلَىٰ لِسَانِهِ. قَالَ الرَّجُلُ: وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِيْ النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»[2]. وقال رجل للرسول ﷺ: أوصِنِيْ. قَالَ: **تَمْلِكُ يَدَكَ؟**. قَالَ الرَّجُلُ: وَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِيْ؟ قَالَ: **تَمْلِكُ لِسَانَكَ؟**. قَالَ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ لِسَانِيْ؟ قَالَ: **لاَ تَبْسُطْ يَدَكَ إِلاَّ إِلَىٰ الخَيْرِ، وَلاَ تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلاَّ مَعْرُوفاً**»[3]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَوصِنِيْ. قَالَ: **عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ الله فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ، وَعَلَيْكَ بِالجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ الله فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ المُسْلِمِيْنَ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الله وَتِلاَوَةِ كِتَابِهِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِيْ الأَرْضِ وَذِكْرٌ لَكَ فِيْ السَّمَاءِ، وَاخْزِنْ لِسَانَكَ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ**»[4]. ولقي رسول الله ﷺ أبا ذر فقال: «**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ خَصْلَتَيْنِ هُمَا خَفِيْفَتَانِ**

---

(١) «سنن أبي داود» (رقم ٤٨٧٧)، وغيره، وصححه الألباني.

(٢) «سنن الترمذي» (رقم ٢٦١٦)، وصححه الألباني.

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (رقم ٨١٧)، وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (رقم ٢٨٦٧).

(٤) «المعجم الصغير» للطبراني (رقم ٩٤٩)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (رقم ٢٨٦٩): صحيح لغيره.

عَلَىٰ الظَّهْرِ وَأَثْقَلُ فِيْ المِيْزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟ فَقَالَ: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ الله! قَالَ: **عَلَيْكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ وَطُولِ الصَّمْتِ**»[1]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**وَإِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُول: اتَّقِ اللَّهَ فِيْنَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا**»[2].

وهٰذه المرأة الأعرابية أرادت أن يكون ابنها علىٰ مستوىٰ أخلاقي رفيع لا يمشي بالنميمة بين الناس، ولا يذكر عيوب الآخرين بدون سبب، وأن يحافظ علىٰ صداقة إخوانه وزملائه، وأن لا يبيع آخرته بدنياه، والذي نريده من الأمهات أن يكن مثل هٰذه السيدة في قيامها بواجبها نحو إرشاد أولادها إلىٰ الخير، وفي معرفتها لما يجب من سلوك في المجتمع، وأن تكون مجالسهم مجالس خير لا مجالس غيبة ونميمة، وكذٰلك نطالب المتعلمات من الآنسات والسيدات أن يظهر تأثير ما تعلمنه علىٰ المجتمعات النسائية، فلا خير في علم إذا لم ينعكس علىٰ المجتمع خيره وفائدته، ونحن عندما نتوجه بهٰذه الوصية إلىٰ النساء لا نبرئ أنفسنا نحن معاشر الرجال من كل تقصير، والمرأة أقرب إلىٰ تقبل النصيحة ومراقبة الله في أعمالها وأقوالها فنحن نوصيها ونوصي أنفسنا بتقوىٰ الله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾ [يوسف].

والتشريع الإسلامي عندما يخاطب المسلم فهو أيضاً يخاطب المسلمة، والحكم في الخطاب يشمل الرجل والمرأة، وعلينا أن نتذكر دائماً قول الرسول ﷺ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ الله عَنْهُ**»[3]. نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «المعجم الأوسط» للطبراني (رقم ٧١٠٣)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٩٣٨).

(٢) «سنن الترمذي» (رقم ٢٤٠٧)، وحسنه الألباني.

(٣) «صحيح البخاري» (رقم ١٠).

هل هذا هو الفكر يا مفكري العرب؟

نحن أهل العالم الثالث أقصىٰ ما تعلمناه وما أخذناه من الغرب هو المساوئ والعيوب، وأصبح هدفنا التهافت علىٰ تلك المساوئ، وكل ما يهمنا هو تقليدهم فيما يعتبر من عيوبهم ويريدون هم التخلص منه، ومع الأسف إن من تصدروا مراكز التوجيه في العالم الثالث من الأدباء والمفكرين لا يروّجون في مجتمعاتهم إلا لهٰذه المساوئ، ولم يحسنوا إلا الدعوة إلىٰ سلبيات الحضارة الغربية، لذٰلك استمرت مجتمعاتهم في مستنقع التخلف وحضيض الفقر، ولم تتقدم في ميادين العلوم والصناعات. تعالوا نقرأ ما كتبه أحد هٰؤلاء المفكرين الكبار بعد مجيئه من باريس، وعلىٰ حد قول فضيلة الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد ذهب إلىٰ باريس لا ليسأل: كيف دخل الفرنسيون النادي الذرّي؟ ولا ليبحث كيف يحاول جواسيس الصهيونية سرقة أسرار طائرات «الميراج»؟ ولا ليحقق كيف أقامت فرنسا قوة ثالثة تريد أن تضارع جبابرة الأرض؟ لا... إن شيئاً من ذٰلك لا يعنيه، إنه ذهب ليزيد القراء العرب فهماً في الأمور الجنسية، وليمد حريق الشهوات بوقود جديد يأتي علىٰ الأخضر واليابس...

ذكر لنا الكاتب الجاد الناضج كيف أن زوجين لم يحسنا الوقاع! وكيف أن طبيباً عالجهما حتىٰ أحسناه! وكيف شاهد مع الجمهور الفرنسي علىٰ «شاشة المسرح»: التطبيق العملي من الزوجين لما سمعاه وعرفاه من الطبيب، فظهرا عاريين يمارسان هٰذه العلاقة في أتم وأكمل وجوهها!!.

ويمضي كاتب الأهرام الوقور في عرض ما راقه من صور فرنسية

فيقول: «صادفت في الحي «سينما» أخرىٰ تعرض قصة عنوانها «الزواج الجماعي». . جماعة من الأزواج الشباب اتفقوا بينهم علىٰ أن يعيشوا في حياة مشتركة، وأن يتقاسموا بينهم كل شيء، وأن يناموا في حجرة واحدة، ونساؤهم مشاع لمن شاء منهم، للزوج أن يعاشر من تروق له من زوجات زملائه، وللزوجة أن تختار ما تريد من أزواج زميلاتها، كل ذٰلك بالرضا التام من الجميع، وكأن الأمر رغيف خبز تتناوله الأيدي والأفواه. . . ثم شاهدنا هٰذه العلاقات الجنسية تتم أمامنا بكل تفصيلاتها التي تخدش الحياء. . الخ.

ونترك صورة هٰذا القطيع من الفتيات والفتيان المتصالح علىٰ الزنىٰ الجماعي أو علىٰ الفسوق القذر. . . لنترك هٰذا القطيع في جوّه المنتن، لنقرأ كاتب الأهرام الفيلسوف وهو يقرر رأيه في هٰذا الموضوع. . قال: «جعلت أفكر في الأمر مستعرضاً ما سبق من حضارات كبرىٰ فوجدت بعض التشابه. إن سمة الحضارة في كل عصر هي البحث عن الحقيقة، ولا حياء في البحث عن الحقيقة، خصوصاً ما يتعلق بالإنسان وأسباب وجوده المادي والروحي، فكانت حضارة مصر القديمة والهند ترسم وتنحت في المعابد بعض الأعضاء التناسلية رمزاً للحياة. . بل إن كتب الأدب العربي القديم لأمثال الجاحظ وابن عبد ربه كانت تتحدث عن الجنس كما تتحدث عن الطعام، وأكثر هٰذه الكتب لا يخلو من باب للطعام وباب للباه، وما كان أحد وقتئذ يرىٰ في ذٰلك بأساً ولا حرجاً، ولٰكن يظهر أنه عندما تأخذ الحضارات في الانحطاط تكثر المحظورات، وتسدل البراقع علىٰ كثير من الموضوعات، إلىٰ أن تمتد إلىٰ روح المعرفة وعادة البحث فتصيبها بالشلل وبهٰذا يقتل العلم وتخسر الحضارة»[1].

المشكلة أن هٰؤلاء المفكرين والكتاب لا يحسنون إلا نقل التفاهات، فهم بدلاً من أن يحثّوا الشباب علىٰ متابعة الأبحاث العلمية في

(١) «قذائف الحق» (ص ٢٦١ ـ ٢٦٢).

الجامعات، ويحثّوا الدولة علىٰ الأخذ بأيدي المتفوقين في المختبرات والكليات لتشجيعهم علىٰ مواصلة أبحاثهم، وأن توفر لهم الجو الآمن المطمئن، والوسائل اللازمة لأبحاثهم، فلا يضايقونهم سياسياً واقتصادياً فيهربوا إلىٰ الغرب يعملون هناك مع حاجة بلادهم إليهم، بدلاً من ذٰلك يشجعون الشباب علىٰ الفاحشة والتسيّب. لقد تصدّر أمثال هٰذا الكاتب القيادة الفكرية في دولهم فلم تزدد مجتمعاتهم إلا تخلفاً، لأنهم حصروا اهتماماتهم في توجيه دولهم وشعوبهم إلىٰ الجانب السلبي في حضارة الغرب، ويغمضون عيونهم ويصمون آذانهم عن الأصوات التي ترتفع في الغرب، وتجرأ بالشكوىٰ من تلك المفاسد.

يقول المؤرخ والفيلسوف توينبي: «لقد أقنعتني دراستي لإحدىٰ وعشرين حضارة أن الثقافة الخلّاقة هي فقط الثقافة الصحيحة، تلك التي تتمكن من حل المشكلات المستجدة في الظروف المختلفة . . إن التقدم العلمي الحديث قد حل مشكلاتنا الصناعية بجدارة. . ولٰكن مشكلات العصر ليست من ذٰلك النوع الذي يحل في المختبرات، إنها مشكلات معنوية، ولا علاقة للعلم بالقضايا المعنوية. يعني: أن الأمر في هٰذه الأحوال لمنطق الإيمان، ولذٰلك يقول: قد يبدو هٰذا غريباً ولٰكن المدنيات الكبيرة بلغت نضجها وضمنت تكاملها بالتغيير الروحي». ويقول: «لقد فشلت جهودنا لحل مشكلاتنا بوسائل مادية بحتة، وأصبحت مشروعاتنا الجزئية موضع سخرية، إننا ندعي أننا خطونا خطوات كبيرة في استخدام الآلات ـ وهو هنا يتحدث عن عمل المرأة ـ وتوفير الأيدي العاملة، ولٰكن إحدىٰ النتائج الغريبة لهٰذا التقدم تحميل المرأة فوق طاقتها من العمل، وهٰذا ما لم نشهده من قبل، فالزوجات في أمريكا لا يستطعن أن ينصرفن إلىٰ أعمال البيت كما يجب. . إن امرأة اليوم لها عملان: العمل الأول: من حيث أنها أم وزوجة، والثاني: من حيث هي عاملة في الإدارات والمصانع، وقد كانت المرأة الإنجليزية تقوم بهٰذا العمل الثنائي، فلم نؤمل الخير من وراء عملها المرهق، إذ أثبت التاريخ أن عصور الانحطاط هي

تلك العصور التي تركت فيها المرأة بيتها.. في القرن الخامس قبل الميلاد، حين وصلت اليونان إلىٰ أوجّ حضارتها كانت المرأة منصرفة إلىٰ عملها في البيت، وبعد مجيء الإسكندر الكبير وسقوط دولة اليونان كانت هناك حركة تسوية شبيهة بالحركة التي نشهدها اليوم!.. لقد نسوا الله حين وضعوا حلولاً لمعالجة الأمراض الاجتماعية انتهت بالأمم إلىٰ علل مستعصية ومآسٍ كبيرة». ويقول: «إن التقدم الفني والصناعي ليس بحد ذاته دليل الحكمة أو ضمان البقاء، وإن الحضارات التي انبهرت وقنعت بمهاراتها الآلية إنما كانت تخطو خطوة نحو الانتحار» ثم يقول: «إن أحد مصادر الخطر علىٰ عصرنا الحاضر هو أننا تربينا علىٰ عبادة الوطن وعبادة الراية، وعبادة التاريخ الماضي ـ العنصري ـ، ويجب علىٰ الإنسان أن يعبد الله وحده، وأن يتمسك بالقانون الإلٰهي في تكافل الفرد والمجتمع، وإنّ فَشَلَنا لمَحتَّمٌ عندما نحيد عنه»[1] هٰذا ما يقوله مؤرخ ومفكر غربي، ولٰكن مفكرينا يأبون إلا أن نحطم ذواتنا ونسير في اتجاه الهاوية، أو نتنكر لديننا ونسيء إلىٰ مقدساتنا، ونقضي علىٰ مصدر قوتنا وعزتنا.

وكتب الأستاذ فهمي هويدي عن بعض الكتابات فقال: «عندما قرأت رواية سلمان رشدي، كان أول ما خطر علىٰ بالي هو أن لدينا كتابات عربية من ذات القبيل تختلف عنها بالدرجة وليس في النوع، أعني أنها تنتهك المقدسات وتجرحها أيضاً، ولٰكنها لا تستخدم ألفاظه البذيئة والوقحة، تهدم في هدوء وبغير ألم، ودون أن تستثير المشاعر بالصورة الفجة التي وردت في الرواية الشيطانية، الأول يجرح علىٰ الفور ولٰكن الآخرين يرسلون الجراثيم التي تتسلل إلىٰ الوعي وتلوثه وتسممه أحياناً، ولا يكتشف أثرها الخطر إلا بمضي الوقت». لا أريد أن أطيل علىٰ القراء ما كتبه الأستاذ فهمي هويدي وأحيلهم إلىٰ مقاله في الأهرام الثلاثاء الماضي (١٤/ شعبان ١٤٠٩هـ) ليروا مصيبتنا في هٰؤلاء الكتاب والمفكرين

---

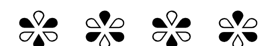
(١) «قذائف الحق» (ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

الذين يسكتون عن قول كلمة الحق، ويتمادون في قول الباطل ويخرسون خرس الشياطين أمام الطغيان، إن صحفياً وكاتباً عربياً كبيراً ممن تلطخت أيديهم وأقلامهم، وحرضوا علىٰ الاستبداد والظلم يصرح لجريدة لوموند الفرنسية بأنه يرىٰ منع إذاعة القرآن والأحاديث الدينية لأن ذٰلك في نظره يساعد علىٰ التطرف الديني.

الدول المتقدمة ترفض أن يتولىٰ قيادتها من انغمس في الشهوات، فبين الحين والآخر تنقل لنا وكالات الأنباء عن ضجة تثار حول شخصية يراد تقليدها منصباً مهماً، ويقف ممثلو الشعب معترضين علىٰ تولي هٰذه الشخصية للمنصب؛ لأن له علاقة غير مشروعة بالنساء، أو كان يتعاطىٰ المخدرات، أو يكثر من شرب الخمر، كما حدث لوزير دفاع أمريكي، الذي رشحه رئيس سابق ثم ألغىٰ ترشيحه لأسباب أخلاقية منها إدمان المسكرات، ورشح شخصاً آخر غيره، في حين لو رشح في بلاد المسلمين أفسق من في الأرض فلن يوجد من يعترض عليه.

لقد عرف الغربيون كيف يسوسون بلدانهم وشعوبهم، فعلىٰ الرغم من تساهلهم في مسائل الخمر والنساء إلا أنهم لا يقبلون أن يقودهم عبيد الشهوات، إذ المنحرف لا يؤمن أن يقودهم إلىٰ الهاوية، ولا يضعون مصائر شعوبهم بيد من يعرضونها للخطر والضياع، وعندهم أن المنصب مسؤولية وتكليف لا وجاهة وتشريف. كما أن ذٰلك يبين لنا مدىٰ ارتباط الأخلاق الشخصية بالمسؤولية العامة. وإذا كان القوم لا يكترثون بحلال أو حرام إلا أنهم يراعون مصالح شعوبهم ولا يتهاونون في تطبيق القانون علىٰ الكبير والصغير.

وأخيراً نقول لأمثال المفكرين العرب المذكورين هل هٰذا هو الفكر يا مفكري العرب؟ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].



الخطر الدّاهم

إن الألم ليعصر قلوبنا علىٰ شبابنا الذين نفقدهم كل يوم، ونراهم يتساقطون ويذهبون ضحايا العدوىٰ بالأمراض الجنسية، أو ضحايا الأمراض والمسكرات.

إن الشباب هم ثروة الأمم الحقيقية وعصب الحياة فيها، وعليهم تقع مسؤولية حفظ الأوطان والذود عنها، والنهوض بالأمة وتقديمها، فلا حياة لأمة إذا انهار شبابها، وسقط تحت معاول الهدم. إن معاول الأعداء تعمل اليوم لهدم كيان شبابنا عن طريق إشاعة الفساد والمخدرات، أفسدوهم حتىٰ لا يواصلوا تعليمهم، وحتىٰ يحطموهم عقلياً وجسدياً، فتفقد البلاد أعز ما تملك، وتفقد مصدر قوتها وحركتها.

والمعروف أن كثيراً من الشباب العرب يتلهفون علىٰ السفر إلىٰ الخارج لفعل الفاحشة، وبعضهم يعود حاملاً فيروس الإيدز، أو يعود وقد أدمن المخدرات.

إننا إذا أردنا أن ندفع الأخطار عن مجتمعاتنا فلنقم ميزان العدل، ونلتزم بقوانين الحق، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

وخراب البيوت يأتي من خراب الذمم، وإذا اختل ميزان العدل وتحكّم الظلمة والطغاة في المجتمع تحطمت القيم، وساءت الأحوال، وتهيأت الفرص للأعداء والمتربصين للانقضاض علىٰ الوطن، ونحن نعلم

أن الشباب المسلم باعتباره القوة الحيوية والسياج المنيع للأمة فإن الصهيونية تعمل بكل ما أوتيت من قوة وحيلة وإمكانية من أجل تخريب أوطان المسلمين، وعن طريق ضعفاء النفوس والفقراء من القيم والمثل؛ لذٰلك فهي تسخر عملاءها لتحطيم أولٰئك الشباب، إما عن طريق قهرهم وتعذيبهم للتأثير علىٰ نفسياتهم، ولإضعاف نشاطاتهم، أو القضاء عليهم عن طريق المخدرات والخمر والنساء.

ونحن لا نلقي بالاً لما تتعرض له مجتمعاتنا من هجمات المفسدين، الذين يعملون بمختلف الوسائل والطرق لتحقيق أهدافهم القذرة، والبعض قد استبد به الطمع والجشع المادي، فهو يبحث عن المال من أي سبيل، ولو كان ذٰلك علىٰ حساب خراب دينه ووطنه.

لقد دفع الجشع وحب المال البعض أن ينفذوا ما يطلب منهم الأعداء، أو يقوموا بتسهيلات لعصابات تخريب المخدرات، أو يهيئوا الفرصة للبغاء والدعارة في بلادهم تحت مسميات مختلفة لا يخفىٰ علىٰ أحد الهدف منها.

لا بد أن نعلِّم شبابنا كيف يصرفون المال في الوجوه الصحيحة، والحرص علىٰ المصلحة العامة، فلا بد أن نذكي الشعلة الوجدانية فيهم، ليكثر القوّامون بواجباتهم، الأقوياء في شعورهم الخلقي. إن الذي ينقصنا هو الشعور الصحيح بالولاء لديننا ولأمتنا المسلمة ومراعاة مصالحها، فإنه لا طريق إلىٰ التقدم في المجال الحضاري ما لم نغلب المصلحة العامة للأمة علىٰ المصلحة الخاصة.

إن كثيراً من الناس تفقد محاسنهم قيمها الحقيقية بمسايرة الهوىٰ وإهدار المصلحة العامة؛ لأن الحافز لهم أصبح الشهوة، فتصبح فضائلهم شبيهة بالعملة النحاسية الزائفة ترن رنيناً ولٰكنها معدومة القيمة، نسأل الله أن يهدينا جميعاً سواء السبيل.

أيها القارئ إن الساحة الأدبية في العالم العربي قد خلت في السنين

الأخيرة من الأدب الهادف الجاد الذي يسمو بالأمة ويعالج قضاياها من منطلق العقل والفكر النظيف الخالي من أرجاس الحقد وسلوك المترفين، فلم نعد نقرأ أدباً يدعو إلىٰ الفضيلة وإلىٰ تماسك الأمة والتفافها نحو أهدافها السامية في نيل حريتها، والحفاظ علىٰ كرامتها، ويعكس آمالها وآلامها، وتاريخها السامق المنيف، بل لا ترىٰ إلا الدعوة إلىٰ السقوط والهبوط إلىٰ حضيض التفاهة وقاع التبعية ومستنقع الرذيلة، ولقد أغرق القائمون علىٰ ما يسمىٰ بالأدب المكشوف في الدعوة إلىٰ إثارة الغرائز الجنسية، فلا تكاد تقرأ إلا وصفاً لما يجري بين الرجل والمرأة في المخدع، فهتكوا أستار الحياء، وأشاعوا الرذيلة، وأهانوا المرأة حيث جعلوها مجرد جسد للمتعة؛ وهي وكأس الخمر علىٰ حدٍّ سواء، فلم تعد المرأة عندهم الزوجة المشاركة في تحمل أعباء الحياة والأم المربية للأجيال، وخلقوا من الأدب قلة أدب، وأحالوا الجمال قبحاً، فأمضوا في تصوير سفاسف الأمور والإشادة بها، وحاربوا معاليها، وأهالوا التراب علىٰ صفات النخوة والشجاعة والرجولة، وداسوا علىٰ الأعراض، وولغوا بأقلامهم وألسنتهم البذيئة، فإذا سمي هٰؤلاء أدباء فذٰلك من قبيل أسماء الأضداد كما سميت دورات المياه بيوت الأدب عند بعض الناس.

ومما يحزّ في النفس أن كثيراً من شبابنا قد اتجه إلىٰ هٰذا الأدب الرخيص فذهب يقرأ لمن هبّ ودبّ من هٰذا الصنف الماجن، وترك القراءة لأساطين الأدب الرفيع قديماً وحديثاً، وقد انعكس هٰذا السلوك علىٰ ما ينشر في الصحف والمجلات اليوم.

وَغَـنَّـتِ الـبُـومَـةُ فِـيْ وَكْـرِهَـا   وَأُسْكِتَ البُلْبُلُ وَالعَنْدَلِيْبُ

ومن المؤسف أن ينظر بعض الناس إلىٰ الإنتاج الأدبي نظرة إقليمية بحتة، فإذا كان الكاتب من بلاده تعصب له وعمل علىٰ نشر ما يكتبه حتىٰ لو كان هٰذا الإنتاج رديئاً وخبيثاً، فهو كصناعة وطنية جديرة بالتشجيع والدعم، وهو لا يعلم أن الأدب والفكر يختلف عن الصناعة والتجارة،

فالأدب إما أن يرقىٰ بالوطن أو يسقطه ويدمّره. فالأدب الهابط هدّام ومدمّر، وبالتالي يجب أن يكون الموقف من القريب أشد من الموقف من البعيد؛ لأنه يزعزع الوطن ويقوّضه.

وَطَنِيٌّ بِزَعْمِهِ وَهُوَ يَسْعَىٰ ضِدَّ أَوْلَادِهِ وَضِدَّ الْمُرَبِّي

فالأدب والثقافة هي روح الأوطان، فإذا كانت تدعو إلىٰ قوة الأخلاق وعزة النفس وصون الأعراض قويت روح الوطن، وعزّت نفوس المواطنين، وصينت أعراضهم، وإذا كان يهمك أن يقوىٰ وطنك ويصان عرضك فلا تسمح لأحد أن يعبث ويشيع الخلاعة والفسق والفجور في وطنك، والكتابة الموبوءة لا تنشر إلا المرض، والذي فقد الخير لا يعطي شيئاً غير الشر، وكل إناء ينضح بما فيه، وفاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كنا نحب الطهر والعفاف لزوجاتنا وبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا؛ فلا ننشر بينهن إلا ما يدعو للطهر والعفاف، وإذا كنا نحب الرجولة والشهامة والشجاعة والصدق والوفاء لأبنائنا فلا ننشر بينهم إلا ما يدعو إلىٰ ذٰلك. يقول الأديب والكاتب أحمد حسن الزيّات رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن اعتقادنا الإيحائي بالتفوق الأوروبي وامتيازه سلب من نفوسنا الثقة، ومن قلوبنا الإيمان، ومن شعورنا السمو، وتركنا كالعبد المملوك لا يقدر علىٰ شيء وهو كَلٌّ علىٰ مولاه ينقل فيما يقول علىٰ لسانه، ويصدر فيما يعتقد عن قلبه، والأدب العربي الحديث كالمجتمع العربي الحديث يقوم علىٰ موت الشخصية وفناء الذات ونسيان التاريخ ونكران الأصل، فهو يستلهم المطابع الأوروبية، ويخضع قريحته للقرائح الأوروبية، ويعقد لسانه بالألسن المرهوبة منها في لعثمة نكراء من أثر العقدة، وهو لو وضع عن كاهله **نير** الامتياز وفهم هٰذه الكلمة مخزية علىٰ المجاز فأخذ من طبعه وترجم ظن طبيعته لغني الغرب بأدب قدسي الإلهام سحري الأنغام شرقي الروح عربي الطابع يحل أهله من أدب العالم ما أحل أدب الهند إقبال وطاغور». ويحكي لنا الزيات رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أحد الشعراء الشباب أحضر له قصيدة لينشرها، وكان

موضوع القصيدة تصوير منظر قروي في ريف مصر في قرية، ولما أن الزيات قروي أنكر ما رسم فيها من الخطوط ووضع فيها من الألوان وحشد إليها من الطبيعة، فقال الزيات للشاب: «يغلب علىٰ شعوري أنك ترجمتها. فقال الشاب وهو يعقد من التيه عنقه: ثق أنها من وحي خاطري وفيض لساني. فرد عليه الزيات: إذن ما هٰذه النواقيس التي ترن في الأبراج، أفي قريتكم كنيسة؟ فقال: كلا! وإنما آثرت رنين الناقوس علىٰ أذان المؤذن لأني أجد للأجراس والأبراج من الروعة والشاعرية ما لا أجده للمئذنة والمسجد. قال الزيات: فألطفت للفتىٰ في الاعتراض والأعذار مخافة أن يرميني في سره بالجمود والرجعية».

وأنا أيضاً أتوقف عند كلمة أحمد حسن الزيات رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتىٰ لا أرمىٰ بالتدخل فيما لا يعنيني، أما الرمي بالجمود والرجعية وعدم مسايرة العصر فأمر مفروغ منه.

نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وما توفيقي وثقتي إلا بالله.



المستشرقون العرب

نحن لا نجحد فضل الحضارة الغربية علىٰ الحضارة الإنسانية في العلوم التطبيقية، ونحن في حاجة إلىٰ علوم الغرب وما أنتجته الحضارة الغربية في مجال الصناعة والزراعة والطب والهندسة. ونحن مطالبون إذا أردنا أن نحافظ علىٰ حياتنا وذاتنا وأمتنا وسلامة أوطاننا، أن ننهل من علوم الغرب التطبيقية، ونسعىٰ إلىٰ كل ما فيه قوة وتقدم وما فيه فائدة لنا.

فتعارف الناس وتبادل الحضارات حقيقة واقعية وسنة جارية، لٰكن الأمم الحية الواعية تميز بين النافع والضار، وما يصلح لها وما لا يصلح، فتقتبس علىٰ بصيرة وفطرة سليمة.

لابد أن نميز بين العلوم التي ليس لها وطن ولا جنس والتي يشترك في منافعها كل الناس، وبين الدين الذي يحدد للإنسان تصوراته للكون، مع أن ديننا هو دين الحق وهو الناسخ لكل دين، وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره من الناس، إلا أن الأوربيين أنفسهم أخذوا عن الحضارة الإسلامية العلوم الطبيعية وتطبيقات هٰذه العلوم ثم طوّروها، ورفضوا قيم حضارتنا، رفضوا التوحيد ورفضوا التوازن بين الروح والجسد في حضارتنا، فأخذوا الجانب العلمي فقط.

إن أولٰئك الذين يحاولون بنشاطهم الفكري في ديار المسلمين فرض التبعية الفكرية للغرب يعملون علىٰ مسخ أمتهم والقضاء عليها.

ونحن لا نعترض علىٰ تبادل الثقافات ونقلها بين الأمم، فذٰلك سنة

من سنن الله ولٰكن يكون ذٰلك في حالة الصحة والاعتدال، في صورة أخذ وعطاء وتمحيص وتفنيد، أما في الأمم الضعيفة فهي فتنة بلا تبصّر ولا تدبّر. فالافتتان بثقافة الغرب الذي نشاهده في هٰذا الجيل تيّار يهدد الأمة الإسلامية بالانحلال. وهٰؤلاء المفتونون لا يبدعون ولا يقدّمون شيئاً لأمتهم، بل تراهم يثيرون الزوابع، ويملؤون أعمدة الصحف بكلام لا يسمن ولا يغني من جوع.

إننا في حاجة إلىٰ علوم الغرب في الجوانب المادية في ميادين الصناعة والطب وصناعة الأسلحة، ذٰلك هو ما ينقصنا؛ ولذا فنحن في حاجة إلىٰ العمل الجاد في تحصيل العلم، وإتقان العمل، ولسنا في حاجة إلىٰ آدابهم وفنونهم وأذواقهم، ولو حاولنا ذٰلك ما استطعنا أن نكون مثلهم إلا إذا أردنا أن ننسلخ من جلودنا إلىٰ جلودهم.

نقول ذٰلك لأن هناك أناساً حريصين علىٰ استيراد الفنون فقط من الغرب مع ما فيها من رذائل وسقوط، قال الفيلسوف الأوربي روسو في رسالته المشهورة عن الفنون: «إن المسارح والمراقص وألوان الملاهي ودروب الخيال إنما تقوي الشهوات، وما هو سيء وضعيف في ملكات الإنسان».

إذا كان هٰذا قول فيلسوف من أعظم الفلاسفة الغربيين، فكيف يُطلب منا نحن المسلمين أن نقلد الغرب في كل فنونه، وأن نفتح أبوابنا علىٰ مصراعيها لكل ما يأتي من الخير والشر، وما يحب وما يكره؟!.

إننا في حاجة إلىٰ مراجعة حساباتنا وتفكيرنا فيما نأخذ ونترك من علوم الغرب وفنونه، وأن نكون علىٰ بصيرة من أمرنا حتىٰ لا ننجرف كما انجرف كثير ممن يسمىٰ بالمستشرقين العرب.

❊ ❊ ❊ ❊

حتىٰ لا نُلعن كما لُعِن بنو إسرائيل

في القرن الرابع عشر الميلادي ابتدع من يسمىٰ بالقديس (سانت فالتين) والذي يلقب بشفيع المحبين ما يسمىٰ عيد العشاق أو عيد الحب، فتقام حفلات وتوزع بطاقات وورود بين المحبين، وبمرور الزمان تطورت هٰذه الاحتفالات إلىٰ أن أصبحت ترويجاً للجنس، أو بيع الجنس علىٰ حد تعبير إحدىٰ الأمريكيات.

ومن المؤسف أن في بلاد المسلمين أناساً أعمتهم شهواتهم المادية فأخذوا يقلدون الآخرين تقليداً أعمىٰ، لا يهمهم غير الكسب المادي، فأخذوا ينشرون الإعلانات الكبيرة للدعوة لهٰذه الحفلات التي تثير الغرائز الجنسية.

وإذا كانت الحضارة الغربية قد انحدرت اليوم إلىٰ مستوًى منحط إلىٰ حد الاعتراف بالشذوذ الجنسي وإدخال الشاذين في الجيش، فإن هٰذا الانحدار لابد أن تعقبه كارثة مدمرة قد لا يتصورها هٰذا الجيل، فهلاك الأمم سببه الانحدار الأخلاقي وانتشار الرذيلة، والله سبحانه وتعالىٰ قد أهلك قوم لوط ودمر بلادهم وجعل عاليها سافلها بسبب شذوذهم، ولا يتصور أحد كيف يكون الجيش الذي يجمع في صفوفه المصابين بالأمراض الجنسية لاشك أن ذٰلك سيعجِّل الفناء للأمة التي تعتمد علىٰ جيش موبوء بهٰذا المرض.

إن ما يسمونه الحرية الشخصية في النظام الديمقراطي سيكون وبالاً علىٰ كل مجتمع يتيح لأصحاب الأهواء أن يُغَلّبوا أهواءهم علىٰ شرائع

الله، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

إن الذين يريدون أن يغرقوا المجتمعات الإسلامية في وحل الحضارة الغربية لا يكنّون أي حب لأمتهم وأوطانهم، ولو كانوا صادقين في حبهم لأمتهم لميزوا بين الخير والشر في تلك الحضارة فأدخلوا خيرها وأبعدوا شرها.

إن التساهل في إدخال التقاليد في مجتمعات المسلمين والسماح لأهل الأهواء والشهوة المادية والجنسية أن يفعلوا ما يشاءون سيجلب الدمار للجميع، والبلاء إذا نزل عمّ، ورسولنا ﷺ قد نبهنا فقال: «**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**»[١].

وإذا أنعم الله علىٰ قوم بالمال فلابد أن يشكروه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

إن علينا أن ندق ناقوس الخطر، وأن نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكر حتىٰ لا نلعن كما لعن بنو إسرائيل، قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «سنن ابن ماجه» (رقم ٤٠١٩)، وحسنه الألباني.

التضامن الإسلامي أو التناحر الإسلامي

التضامن الإسلامي هو سياج لحفظ الأمة الإسلامية من الانهيار.

وإذا نظرنا إلىٰ حال المسلمين اليوم نجدهم أحوج ما يكون إلىٰ هٰذا التضامن، خاصة بعد أن أصبحت حقوقهم وأعراضهم وأرواحهم كالكلأ المباح.

ألا نرجع إلىٰ صوابنا أيها المسلمون ونحن نرىٰ أوصالنا تتقطع وحقوقنا تنتهك؟ ألا نتفاهم فيما يصلح أمتنا ويحفظ كياننا؟ إن القرآن ينادينا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ويقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:١٠]. فما بالنا نتناحر فيما بيننا والله يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦].

إن المسلمين اليوم قد أصبحوا كالشياه التي فقدت راعيها في ليلة مطيرة شاتية، وتحيط بها الذئاب من كل ناحية، لقد كان عمر الخطاب رضي الله عنه يقول: «**لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ عَلَىٰ شَاطِئِ الْفُرَاتِ ضَيْعَةً لَخِفْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْهَا**»[١]. وكان يراقب عماله في مدىٰ شفقتهم علىٰ الأمة، فما بالنا اليوم نتركهم فريسة لأعداء الإسلام، ورسول الله يقول: «**تَرَىٰ المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ عضْواً، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ والحُمَّىٰ**»[٢]، ويقول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَىٰ بِذِمَّتِهِمْ**

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (رقم ٧٤١٥).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٥٦٦٥)، و«صحيح مسلم» (رقم ٦٧٥١).

أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ»[1].

وليس من الإسلام في شيء أن يقول أحد من المسلمين: إن أولٰئك ليسوا من أهل وطني، أو ليسوا من قومي. فقد ألغىٰ الإسلام العصبية والعنصرية، وأكد علىٰ رابطة العقيدة؛ العقيدة وحدها.

ومن المؤسف أن المسلمين قد استخفوا بهٰذه الرابطة، وقدّموا عليها روابط ما أنزل الله بها من سلطان، فتداعت عليهم الأمم كما تداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها، وأصبحوا غثاء كغثاء السيل، ولذٰلك سلط الله عليهم أعداءهم، وجعل بأسهم بينهم شديداً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «مسند أحمد» (رقم ٩٥٩)، و«سنن أبي داود» (رقم٤٥٣٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ١١٦١٢).

«إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»

لماذا نحن العرب وصلنا إلىٰ هٰذه المرحلة من تحطيم الذات؟ فلا نجد فينا أبطالاً عند المعارك مع العدو، بل نجد الأبطال والمغاوير علىٰ النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين من أهلنا، الذين نزعم أن نضالنا من أجلهم ومن أجل قضيتهم، فأصبح نضالنا من أجل قتل أكبر عدد من النساء والأطفال والشيوخ. في حين أن العدو رابض في أرضنا يعيش في أمن واطمئنان، ولا نقوىٰ علىٰ أن نرفع عصا في وجهه، بينما نحمل المسدسات والقنابل وكل الأسلحة لقتل الأبرياء.

ومن المؤسف أن هناك دولاً وحكومات تقف مع القتل والإرهاب، وتصرف الأموال في سبيل ذٰلك، الله طالبنا أن نقاتل في سبيل الله، فقاتلنا في سبيل الشيطان، وطالبنا أن نحمي الضعفاء فأرهبناهم وقتلناهم، وطالبنا أن نحافظ علىٰ قدراتنا وأموالنا، فبددناها وحرقناها. ونتساءل: هل الذين يقتلون الأبرياء، ويخربون بيوتهم مناضلون حقاً؟.

إن هٰذه الجرائم بدأها من بدأها ويعرفه كل العرب، ويعرفون من يرعىٰ الإرهاب ويدعمه ويشجعه، ولٰكن مصيبتنا هي المجاملات علىٰ حساب أمن شعوبنا وأوطاننا، فلا نريد أن نغضب العباد حتىٰ ولو أغضبنا رب العباد.

إن المجاملات علىٰ حساب الحق هي القاصمة التي تقصم ظهر الشعوب، وتقضي علىٰ حياتها، لماذا لا نقف موقفاً واحداً صلباً ونقول للأعور: أنت أعور؟

إذا أردنا أن نخلص شعوبنا من الأشرار، علينا أن نواجه الأمور بقوة وشجاعة، وفي نفس الوقت بحكمة وصبر وأناة، فمعالجة الأمور بحكمة وتعقّل هو الحل، ففي التأني السلامة وفي العجلة الندامة، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وليس في الإمكان إطفاء النار بالزيت.

وإذا نظرنا إلىٰ الدول والشعوب المتقدمة في معالجتها للحوادث التي تداهمها نجدها تتصرف بحكمة وأناة، حتىٰ تتغلب علىٰ المشكلة وتنهيها بأقل قدر من الخسائر، والله سبحانه وتعالىٰ أمر بالصبر وتحمل المشاقّ والمكاره.

ولو تأملنا سيرة الرسول ﷺ نجد أن سر نجاح دعوته هو الصبر، وقوة التحمل وعدم الانفعال. ولننظر مثلاً موقفه ﷺ في الحديبية، فقد قام ﷺ من المدينة مع أصحابه قاصداً مكة للحج، فاعترضته قريش وطلبت منه الرجوع إلىٰ المدينة هو وأصحابه، وألا يحج هٰذا العام، وجرت بينه وبينهم مفاوضات انتهت إلىٰ توقيع صلح الحديبية، الذي رأىٰ فيه بعض الصحابة إجحافاً بحق المسلمين، وكانوا يلحّون أن يواصل سيره إلىٰ مكة مهما ترتّب علىٰ ذٰلك من صدام ومعارك مع الأعداء، وقال قائلهم: «أَنُعْطِيْ الدَّنِيَّةَ فِيْ دِيْنِنَا بَعْدَ أَنْ أَعَزَّنَا اللهُ؟»[1]. فكان هٰذا الصلح هو طريق النصر، وكانت الحكمة والأناة وعدم الانفعال هي السبب في كل ما كان بعد ذٰلك من انتصارات ونجاحات، وكان صلح الحديبية هو الفتح المبين الذي قال الله فيه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [الفتح].

وكانت النتيجة أن الحق هو الذي انتصر، فلم تستطع قريش أن تحافظ علىٰ بنود الاتفاق الذي وقعته مع رسول الله ﷺ، فكان نقض

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٢٥٨١)، وغيره.

الاتفاق من قبلها سبباً لفتح مكة بعد أن أعدّ المسلمون عدّتهم، وأصبحت لهم قوة لا تستطيع قريش أن تقف في وجهها.

فالصبر هو طريق تحقيق الأهداف السامية، ولذٰلك ذكره الله في القرآن في حوالي مائة موضع، والصبر ليس معناه العجز والتخاذل وعدم القدرة، بل هو المجاهدة والمحاولة المستمرة لبلوغ الهدف.

قال علي رضي الله عنه:

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِيْ أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ ... وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

فالصبر هو طريق النجاح في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة].

❊ ❊ ❊ ❊

لم يبق في القوس منزع

لعل أبناء المسلمين هم الوحيدون كأمة، يطبقون مقولة: «من ضربك علىٰ خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر»، ولم يعد في جسم الأمة موضع لم يضرب من قبل طغاة الغرب الذين باتوا يتصرفون في العالم باسم المنظمة الدولية أو بما يسمىٰ بقرارات الشرعية الدولية.

ومن المؤسف أننا نحن نتسبب في ذٰلك، فهٰذه الخلافات المتأججة بيننا، وهٰذه الحروب الطاحنة في منطقتنا هي في الواقع خدمات جليلة نقدمها لأعدائنا، فقدنا فيها العقل والمنطق، وخالفنا أوامر الله وجنينا علىٰ أنفسنا وأهلنا وأوطاننا، فهٰذه الأرواح التي تزهق هم أبناؤنا وفلذات أكبادنا وهٰذه المنشآت وهٰذه الأموال التي تهدر هي أموالنا. إنه تعذيب للنفس وتحطيم للذات، والغرب والشرق يختلسان اقتصادنا وإمكانياتنا وطاقاتنا وأموالنا في مقابل السلاح الذي ندمّر به أنفسنا ونحطم به ذاتنا ونضرب به منشآتنا.

ألا نخشىٰ أن تأتي إسرائيل ومن ورائها الغرب، فيعيدوا المنطقة إلىٰ استعمار من نوع جديد؟ لقد أدرك أعداؤنا أن وحدتنا معناها القوة، مع ما نملك من المال والطاقة، وقبل ذٰلك العقيدة.

ألا تعلمون أن إسرائيل تخطط لتكون لها الكلمة العليا في المنطقة فتحكم هٰذه الشعوب باتفاقيات مع دول ضعيفة تملي فيها شروطها ثم تتحكم في مقدراتها؟

ألا تعلمون أن اليهود يحنّون إلىٰ خيبر والمدينة لينبشوا قبر نبيكم ﷺ ويرمون برفاته في الصحراء حقداً وانتقاماً لأنه أخرجهم من جزيرة العرب، ألا يكفي ما جرىٰ ويجري علىٰ المسجد الأقصىٰ؟

ونحن عندما نطبق مقولة: «من ضربك علىٰ خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر» ليتنا نطبقها مع بعضنا ليسود السلام بيننا، ولٰكننا نطبقها مع أعدائنا، فيزدادون طغياناً وظلماً كبيراً.

يكفي ما نحن فيه من ذل ومهانة، إن علينا أن نعود إلىٰ ديننا الحنيف ونتمسك به، وننبذ الخلاف والشقاق والقتال، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أما آن لنا أن نطفئ هٰذه النار التي تشتعل في أطرافنا لتقضي علىٰ الأخضر واليابس وتلتهم كل ما بنته شعوبنا طيلة هٰذه السنين.

طف الصاع طف الصاع، وبلغ السيل الزبىٰ، ولم يبق في القوس منزع.

❊ ❊ ❊ ❊

«لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»[1]

هٰذا العنوان حديث صحيح عن النبي ﷺ رواه الشيخان، وإليه الإشارة بقول يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤].

وفي هٰذا الحديث يحذرنا الرسول ﷺ من أن نخدع، أو نكون ضحية لكيد أعدائنا وخبثهم، مهما أظهروا من لين وعطف، وأن نتعظ بحوادث التاريخ، فلا نكون مغفلين، ونحسن النية في كل أحد يتظاهر بالصداقة بعد العداوة. فلو اتبع المسلمون هدي محمد ﷺ وطبقوا هٰذا الحديث، وعملوا بمقتضاه، لسلموا من كثير مما يعانونه من مشاكل وما ينزل بهم من مصائب.

عندما غزا التتار بلاد المسلمين، كانت هناك عناصر مهدت لهم الطريق، من الذين ثبتت خيانتهم وارتدادهم عن الإسلام، وعندما غزا الصليبيون بلاد الإسلام، كانت هٰذه العناصر نفسها هي العين والمعين له في ديار الإسلام، وعندما جاء المستعمر الأوربي المحتل خدعوا العرب بمواعيد عرقوبية، فاستعمروا بلادهم، واقتسموها، ثم سلموا فلسطين لليهود، وعندما انسحبوا من بلاد العرب والمسلمين خلقوا بين كل بلد وبلد مشكلة حدودية، ثم جاء بعد النفوذ أمريكي، والنفوذ الشيوعي، وأخذا

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٥٧٨٢)، و«صحيح مسلم» (رقم ٧٦٩٠).

يتصارعان ونحن الضحية، وساعدنا الأعداء علىٰ أنفسنا بالخلافات فيما بيننا، فلا وحدة تجمعنا، ولا أهداف توحدنا، نشتري السلاح بأموالنا، ونقتل به أنفسنا، وعرفنا أسباب هزيمتنا في سنة ١٩٦٧م، فماذا عملنا لتلافي تلك الأسباب؟ لم نعمل شيئاً غير أنه خرج علينا أبطال الهزيمة بمذكراتهم، كل جعل من نفسه بطلاً، لا يلقون بالاً لصيحات المظلومين، وأنين المجروحين، المكلومين من مواطنيهم، بل هم مشغولون بسهراتهم ونزواتهم وصراعاتهم من أجل المواقع في السلطة، وصحفنا تتسابق في نشر الأضاليل والأباطيل.

وها نحن اليوم نجني ثمرات ما قاموا به من أعمال الغطرسة وتبديد الأموال وإذلال الناس، ومن المؤسف أن كثيراً منا لا زال تائهاً هائماً وراء التضليل، غافلاً عن الحقيقة، مشدودا إلىٰ الأوهام، لا يريد أن يصحو من سكره، مخدوعاً برنين الأسماء والألقاب.

هل فكرنا في حساب الربح والخسارة من كل المشاريع التي قامت في بلاد العرب والمسلمين؟ وهل استفدنا من التجارب التي مرت علينا في بلادنا وبلاد الآخرين؟ من المؤسف أننا لم نستفد شيئاً غير المزيد من الغفلة، والوقوع في الحفر والمطبات التي وقع فيها من قبلنا، ولم نتعظ بأحداث التاريخ، ودخلنا جحر الضب الذي دخله من قبلنا، ولم تردّنا عنه عفونته، لأننا فقدنا الإحساس.

ونلاحظ أن بعض الذين يشاركون في إفساد الحياة، ويمارسون الظلم علىٰ مواطنيهم، عندما يسقطون يهرعون إلىٰ التصوف، فيحملون المسابح، ويعتكفون في الزوايا، ويتناسون ما فعلوه، ويظنون أنهم بذٰلك يكفرون عن سيئاتهم، والمغفلون يعتقدون أن كل من حمل المسبحة، وتردد علىٰ الزوايا قد أصبح من الأخيار، ولو فعل ما فعل من الظلم والجبروت، فكثير منا لا يعرف من الإسلام إلا الصلاة والصيام وحضور الموالد وترديد الأوراد والمدائح وإقامة المواسم الدينية.

إن دين الإسلام ليس طقوساً ولا رهبنة، يقول وليد الأعظمي:

إِسْلَامُنَا لَا يَسْتَقِيْمُ عَمُودُهُ بِدُعَاءِ شَيْخٍ فِيْ زَوَايَا الْمَسْجِدِ
إِسْلَامُنَا لَا يَسْتَقِيْمُ عَمُودُهُ بِقَصَائِدٍ تُتْلَىٰ لِمَدْحِ مُحَمَّدِ
إِسْلَامُنَا نُورٌ يُضِيْءُ طَرِيْقَنَا إِسْلَامُنَا نَارٌ عَلَىٰ مَنْ يَعْتَدِيْ

الإسلام دين جهاد وعمل وأمانة وأخلاق وكفاح في الحياة، وقد قال الله في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة]، فبعد الصلاة انتشار في الحياة الواسعة، فالصلاة هي الشحنة الروحية، التي تعطي قوة الانتشار، وفرق بين الانتشار المندفع بقوة الروح المنبثقة من الصلاة، والانتشار بلا روح، فيجب أن يكون أثر الصلاة مسيطراً علىٰ العمل، أما إذا لم يكن لها أثر علىٰ العمل فلا فائدة فيها، و هٰذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]. فالعمل بلا روح لا صدق فيه. فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ومعهم رسول الله ﷺ كانوا يؤدون الصلاة وهم علىٰ أهبة الاستعداد للحرب، بل كانوا يؤدون الصلاة مع قربهم من العدو، بل وأثناء المعركة، وكانت هٰذه الصلاة هي المعين لهم علىٰ هزيمة العدو، قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة].

إن علينا أن نتعظ بالأحداث، ونستفيد من التاريخ، ونستخلص منه العبر، وأن نتعلم من أخطائنا، حتىٰ لا نلدغ كما لدغنا مرات ومرات.

❋ ❋ ❋ ❋

اشتدّي أزمة تنفرجي

نحن دائماً نتهرب من مواجهة المشاكل ونتحاشىٰ الاصطدام ونفضل السلامة، ونغفل أن هٰذا السلوك له مردود سيّء علينا، لأن معنىٰ ذٰلك أن نترك المشاكل تتكاثر والأمور تتعقد والسلبيات تتضخم والشر ينتشر والفساد يستشري، فلكل ذٰلك بواعث وجذور إن لم نجتثها من أصولها بقيت قابلة للظهور علىٰ السطح، وقد لا يستطيع أحد أن يستأصلها بعد ذٰلك إذا ترسخت فتعظم وتنذر بالخطر الماحق، لأن ترك المفاسد والشرور يستشري يعجل بالنهاية المؤلمة وعند ذٰلك نعض أصابع الندم ولات حين مندم، فلابد إذاً من مواجهة المشاكل والصعاب بكل قوة وإصرار (والشر إن تلقه بالشر ينحسم).

فالمهدئات والمسكنات لا تفيد في معالجة المرض، وإذا كانت قد أفادت كعامل تأجيل فهي أيضاً عامل قوة للانفجار إلىٰ حين. فالحسم في الأمور هو العلاج الوحيد، ولابد للحسم من العزم، فالعزم والحزم الخطوة الأولىٰ؛ والحسم نهاية المشكلة.

المطلوب أن تتضافر جهود المخلصين للتصدي للشرور والآثام وقمع المغامرين والمتاجرين بمصالح الشعوب حتىٰ ولو أدىٰ ذٰلك إلىٰ مواجهة صريحة وقوية بين الأشرار والأخيار، فإن العاقبة بعد ذٰلك تكون للحق، لأنه يعلو ولا يعلىٰ عليه، وليس شرطاً أن تكون المواجهة بالسلاح والعنف، بل بالموقف القوي الشجاع، والاستعداد الكامل لخوض الصراع مع الباطل، فبعض الأمور لا تتطلب أكثر من كلمة صريحة وقوية، وبعضها

لا يتطلب أكثر من تصرف حكيم وعاقل، والمهم التصميم علىٰ السير في الطريق الصحيح ورفض السلبيات والفساد، وتتبع مواطن الضعف والخلل لتقويمها وإصلاحها.

والشعوب إذا هي واجهت أزمتها بالإيجابية والفعل تحقق لها ما تصبو إليه من تحرر وتقدّم، لأن بصيصاً من الأمل هو مفتاح الحل إذا خلصت النيات، وكانت هناك الشجاعة علىٰ مواجهة الأحداث، قال الشافعي:

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا   فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

والخوف والجزع والجبن هو الذي يسبب الهزيمة المنكرة، والتعقل والشجاعة من أسباب النصر، وهما أمران متلازمان، ولذٰلك قال أبو الطيب:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ   هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِيْ

فيجب أن لا نجزع من الأزمات واشتدادها، وأن نواجهها بالصبر والحكمة والتعقل والاستعداد التام للتغلّب عليها، ويجب أن نؤمن بأن مع العسر يسراً، وأن العسر لا يغلب يسرين، وعلينا ألا يغيب عنا قول ابن النحوي:

اشْتَدِّيْ أَزْمَةُ تَنْفَرِجِيْ   قَدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالبَلَجِ
وَظَلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سَرْجٌ   حَتَّىٰ يَغْشَاهُ أَبُوْ السَّرَجِ

❀ ❀ ❀ ❀

حوبة المظلومين

حوبة المظلوم هي ما يصيب الظالم من سوء المنقلب إذ الظلم يعود علىٰ الظالم بالسوء جزاء ظلمه، وأصل الحوب هو الإثم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢]. موبوتو سيسي سيكو رئيس زائير سابقاً هو بلاشك مثال لحوبة كل مظلوم في بلاده. هٰذا الرجل بغىٰ في بلاده وأذاق أهلها الذل والهوان، ونهب خيرات بلاده وتقاسمها مع الشركات واللصوص، وترك الشعب في فقر مدقع، وعمق في أفراده الخلافات المناطقية والقبلية، واستغلهم أبشع استغلال خاصة من أصدقائه وزملائه من أجل أن ينفرد بالسلطة، فتمادىٰ في الظلم والخيانة، وقرب اللصوص والمنافقين، وأبعد الشرفاء والأمناء والمخلصين، ولم يهتم إلا بمصالحه الخاصة والفلل في أوربا. لٰكن لم ينفعه شيء من ذٰلك بعد أن أطح به ثم قضىٰ نحبه من مرض عضال ـ سرطان البروستاتا ـ نخر عظمه، ولم تقبل الدول أن تستقبله في بلادها حيًّا أو ميّتاً. لاشك أنها حوبة المظلومين الذين قضوا نحبهم في السجون أو الذين قتلوا عن طريق الاغتيال أو الذين طردوا من وظائفهم أو الذين شردوا من بلادهم، يا ليت الظلمة يتعظون بما جرىٰ ويجري للظالمين: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ

لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء].

فالله سبحانه وتعالىٰ لم يخلق السماء والأرض عبثاً وليظلم الناس بعضهم بعضاً فهو سبحانه ينبه في هٰذه الآية أن لهم خالقاً يجازي المسيء والمحسن كلاً بما يستحقه، وهٰذه عدالة الله بين الناس جميعاً الكافرين والمؤمنين، فالعدالة هي الأساس في الإصلاح في الشعوب والدول، ولذٰلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ويهلك الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة)[1]، والبغي والظلم والفساد في الحكم يهلك أصحابه ويخرجهم من الإيمان علىٰ الكفر ولا يجتمع ظلم وإيمان وحق وباطل ومهما أعطي الإنسان من رزق وأموال وسلطان، فالنعم لا تدوم مع البغي والظلم والفساد، والحكام المفسدون والفاسدون في العالم الثالث ما أشبههم بقارون في بغيه وفساده وغروره وفرعون في ظلمه وجبروته ومن يقرأ قصه قارون وفرعون وهامان وعاد وثمود في القرآن يقتنع بأنهم كلهم ظلمة وعتاة وجبابرة ومفسدون، بعضهم من بعض، قال تعالىٰ عن قارون: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦٣).

ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال].

فالذين يتمادون في الفساد مصيرهم معروف؛ هو الهلاك والدمار وخسران في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

ولا يتورع المفسدون أن يتهموا أهل الدين والصلاح بالفساد مثل ما قال فرعون عن موسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

إنه مهما بلغ أهل الباطل من مجد وقوة فمصيرهم إلىٰ الذل والهوان، وإذا كان قد أصبحنا في زمان يعز فيه أهل الباطل ويهان فيه أهل الحق، فإن وعد الله بإعزاز الحق وخذلان الباطل وأهله هو الوعد الحق والصدق الذي لا ريب فيه، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام]. وقال

سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام].

وإذا كان الظالمون والمفسدون في الأرض والفاسدون في أخلاقهم والخائنون لأماناتهم لا يشعرون بشيء ويتمادون في أفعالهم المخزية وفي ظلمهم للناس، وإذا كان الحكام يظنون أن شعوبهم غافلة وجاهلة ولا تستطيع أن تفعل شيئاً وتدفع عن نفسها الظلم والهوان فهم واهمون.

فإذا كانت المراكب قد تاهت وقادها إلىٰ مهاوي الذل الأغبياء فإنقاذها إن شاء الله قريب وستتخلص الأمة الإسلامية من كل المعوقات ومن مفسديها وظالميها الذين نسوا ما ذكروا به وزين لهم الشيطان أعمالهم وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام].

❊ ❊ ❊ ❊

«الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَومَ القِيَامَةِ»[1]

في هٰذا العصر كثر المنافقون الذين لا يعرفون غير الكذب والخداع والكيد للناس وتراهم عندما يتحدثون في المجالس يتناولون أعراض الناس ويدعون العلم والمعرفة بكل شيء، وفي الواقع هم أجهل الناس وأظلم الناس يقولون ما لا يفعلون، وينسبون لأنفسهم كل خير وفضل وهم أبعد الناس عن الخير والفضل وإنما يعيشون دائماً علىٰ حساب الآخرين ويفعلون دائماً خلاف المأمور في الشرع، وهٰؤلاء قد أخبر النبي ﷺ أنهم سيأتون في آخر الزمان، وطالب بأن يتصدىٰ لهم كل مؤمن ويجاهدهم بيده وبلسانه وبقلبه، ففي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ نَبِيّ بَعَثَهُ اللَّه فِي أُمَّتِهِ قَبْلِي إلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَاب يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ. ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُف مِنْ بَعْدهمْ خُلُوف يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ. فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِن. وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِن. وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِن. لَيْسَ وَرَاء ذَلِكَ مِن الْإِيمَان حَبَّة خَرْدَل**»[2].

وإذا كان آخر خصال الإيمان المتعيّنة علىٰ العبد وأضعفها الإنكار بالقلب ولم يبق بعدها رتبة أخرىٰ فما بالك بمن يؤيد هٰذا النوع من الناس ويقف إلىٰ جانبه ويدافع عنه ويقربه بما يعد تشجيعاً له في سلوكه، فهل يبق عنده من الإسلام والإيمان شيء؟ فهل هناك شيء أقل من حبة الخردل؟

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٦٧٤١).
(٢) «صحيح مسلم» (رقم ١٨٨).

وهي ما يكنىٰ بها في اللغة العربية عن نهاية القلة، فالإسلام يأمر أتباعه أن يقفوا في وجه الظالم وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وإذا لم يفعلوا ذٰلك هلكوا جميعاً، وهٰذا شيء معروف تقتضيه طبيعة الحياة، ولذٰلك قال الرسول ﷺ فيما رواه البخاري عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَىٰ حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ؛ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً**»[١].

فالنصيحة والأخذ علىٰ يد الظالم والمنحرف من أوجب الواجبات في الحفاظ علىٰ المجتمعات وإبعاد الفتن.

بعض الناس يقول وأنا ما لي فكل شخص مسؤول عن نفسه، وقد يحتج البعض بآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة]. وقد سبق أن تنبه إلىٰ ذٰلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَـٰذِهِ الآيَـةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ مِنْهُ**»[٢]. أي أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه يرىٰ أن بعض الناس يفسر الآية بما يخلي نفسه عن المسؤولية، وهي في الواقع لا تخليه عن المسؤولية، إذا قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي فعندئذ لا يضرّه من ضلّ، وهٰذا في الناس العاديين فلا يمكن أن تؤخذ الآية علىٰ عمومها فكيف بأولٰئك الذين تحملوا أمانة الولاية. ومن

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٢٣٦١).

(٢) «مسند أحمد» (رقم ٣٠)، وغيره، وصححه الألباني في «السلسلة» (رقم ١٥٦٤).

المؤسف أن المجتمعات العربية والإسلامية قد غصّت بالظلمة والمفسدين وكل ذٰلك بسبب الامتناع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم المنكرات الظلم والفساد الذي عمّ وطمّ في هٰذا العالم، وأصبح النفاق هو السائد في المجتمعات، والنفاق هو الذي يخلق الظالمين، ولٰكن المنافقين لا ينفعون أحداً ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورىٰ:٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، فهم والمنافقون جميعاً في الظلمات، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَومَ القِيامَةِ**»[١].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٦٧٤١).

القدوة الحسنة أولاً

من أهم قواعد الإصلاح قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب، واعتبار الكفاءة ومراعاة العفّة والنزاهة والإخلاص في العمل، ثم محاسبة المسيء ومعاقبته علىٰ إساءته، ومكافأة المحسن علىٰ إحسانه.

هٰذه القواعد أجمعت عليها كل الشرائع والقوانين والأعراف لجميع الأمم قديماً وحديثاً، وأي مجتمع قام بتطبيقها ساد فيه الأمن، ونعم بالرفاهية والاستقرار والطمأنينة، وأي مجتمع أخل بهٰذه القاعدة تنكب الطريق وساءت أحواله، بل انقرضت دول وهلكت بسبب عدم قيام أهلها بما يجب عليهم من مراعاة هٰذه القواعد.

وعندما ترىٰ أعمال الناس تتعثر في الإدارات، ولا ينجز الموظفون أعمالهم بالطريقة الصحيحة المناسبة، وعندما ترىٰ تعدّيات علىٰ المصالح العامّة والخاصة وإهمالاً وتسيّباً في المرافق، واستخفافاً واستهتاراً بالأنظمة والقوانين، وحرصاً متزايداً علىٰ المصالح الخاصة وعدم الاكتراث بالمصالح العامة وإهدار المال العام، فاعلم أن هناك خللاً في الإدارة يؤدي حتماً إلىٰ تدهور الحالة الاقتصادية والأمنية والاضطراب السياسي والاجتماعي، ويؤدي إلىٰ انتشار الأوبئة والأمراض، والجرائم والمخدرات والدعارة، وإلىٰ كل المساوئ والمشاكل الاجتماعية التي تعرقل تقدم المجتمع وتقضي عليه، ومن هنا أصبح الإصلاح الإداري ضرورة ملحة تحرص عليه كل الدول التي تسعىٰ إلىٰ تقدم شعوبها وحماية مجتمعاتها من الأخطار.

إذا كان الموظف العام يحضر إلىٰ مكتبه وكل همه أن يعقد صفقات خاصة من خلال نفوذه ومركزه فما أن يجلس إلىٰ مكتبه حتىٰ يرفع سماعة الهاتف للاتصال بزيد وعبيد يسأل عن أسعار السلع التي يحتاج إليها في أعماله الخاصة لترتيب عقد صفقة مربحة له، فماذا ننتظر أن ينجز هٰذا الموظف من الأعمال الموكولة به علىٰ استقامة عمله؟ وماذا يترتب علىٰ علاقاته بالذين ساومهم في هٰذه الصفقات عندما يحتاجون إليه ويمثلون أمامه في معاملة رسمية؟

لم تنتشر المخدرات ويتضخم دور تجارها في بعض البلدان إلا بسبب التسيب، وأخذ الموظفين للرشوة علىٰ مختلف مسؤولياتهم، فقد أقام تجار المخدرات علاقات مع كبار المسؤولين وصغارهم، وسهلوا لهم أسباب المتعة بمختلف أنواعها حتىٰ تمكنوا من السيطرة عليهم، ولم يعد في الإمكان التخلص من سيطرتهم، فقد أصبح لهم عصابات تملك أسلحة تحارب بها الدولة، وتقتل الذين يقفون في وجوههم كما هو الحال في كولومبيا.

وكثير من المسؤولين يتطلعون إلىٰ الثروة والربح السريع فيقعون تحت تأثير تطلعاتهم، ويعملون علىٰ تحقيق أهدافهم من خلال مسؤولياتهم وامتيازاتهم بسبب العمل الهام، ولا يخفىٰ ما يترتب علىٰ ذٰلك من إخلال بالواجب مما ينعكس بالضرر الكبير علىٰ المجتمع.

ومن أجل ذٰلك تقوم الدول المتقدمة بالمراقبة علىٰ موظفيها باستمرار، وتتخذ الإجراءات الصّارمة عند أول بادرة وبأسرع ما يمكن لإيقاف المسؤول عند حدّه، ولا تتركه يتمادىٰ في الأخطاء وارتكاب المخالفات، وأسست أجهزة تفتيش إدارية ومالية وقضائية تتابع أعمال الموظفين وسلوكهم في العمل، وتحاسب كل من أحيطت به الشبهات.

وفي تاريخنا الإسلامي أمثلة واضحة علىٰ المحاسبة وعدم ترك الحبل علىٰ الغارب فيما يتعلق بالعمال وأهل الوظائف العامة والأمناء علىٰ مصالح الناس والمال العام؛ مما جعل الإسلام رائداً في الحرص علىٰ مصالح الناس العامة والخاصة، وعدم التساهل مع المسؤولين في هٰذه المصالح. ومن أبرز هٰذه الأمثلة ما جاء في «الصحيحين» عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً عَلَىٰ صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْم يُدْعَىٰ (ابْنَ الْلَّتَبِيَّةِ)، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَهَلاَّ جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّىٰ تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً.** ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ مِمَّا وَلاَّنِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلأَعْرِفَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيراً لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّىٰ رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟** بَصْرَ عَيْنِي وَسَمْعَ أُذُنِي»[1].

إن علىٰ القائد والمسؤول أن يكون ممتثلاً لما يأمر به فقد قال الله تعالىٰ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة]، وقال الله علىٰ لسان شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

فما دام يريد الإصلاح فإن عليه أن لا يفعل ما ينهاهم عنه، إذ لا تثمر الدعوة إلىٰ الإصلاح إلا إذا التزم الداعي بما يدعوا إليه وامتنع عما ينهىٰ عنه، ففاقد الشيء لا يعطيه، يقول أبو الأسود الدؤلي:

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٥٦٧٨)، و«صحيح مسلم» (رقم ٤٨٤٣).

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيرَهُ   هَلَّا لِنَفسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذِي السِّقامِ وَذي الضَّنَا   كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَنَرَاكَ تُصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا   أَبَداً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا   فَإِذَا انْتَهَت عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُقبَلُ مَا تَقُولُ وَيَهتَدِيْ   بِالقَولِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ   عَارٌ عَلَيكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيْمُ

❋ ❋ ❋ ❋

الاغترار بالمظاهر

ما يجري اليوم علىٰ الساحة العربية لا يدل علىٰ أننا أمة واحدة ذات رسالة خالدة، ولا يدل علىٰ أننا نحرص علىٰ المحافظة علىٰ مقدراتنا وثرواتنا من أجل شعوبنا والأجيال القادمة من أبنائنا، بل يدل علىٰ أننا شعوب مفرقة متخاصمة ودول يكيد بعضها لبعض، نبدّد ثرواتنا وإمكانياتنا، ونفقر أنفسنا لمصلحة غيرنا، فهل نعود إلىٰ رشدنا، ونفكر في مصالحنا الحقيقية، التي ترتكز علىٰ وحدة صفوفنا وحل مشاكلنا بأنفسنا، ولا نهيئ الفرصة لابتزازنا من الآخرين، ماذا ستقول الأجيال القادمة عن هٰذا الجيل من العرب الذي فرط في أرض فلسطين ومكن العدوّ من التحكم في مصير المقدسات الإسلامية، وماذا ستقول عن الأحقاد والفتن والإحن والبغضاء بين أبناء الأمة الواحدة فلم تجتمع كلمتهم، وذاقوا الجوع والفقر والهوان والتشريد والبطالة بسبب اتباع الهوىٰ، وكلٌّ يريد أن يفرض رأيه ولو فيه الهلاك للأمة، يتقاتلون بأسلحة تدمرهم، ويقتطعون أثمانها من قوت شعوبهم، وعندما تبحث عن الأسباب الحقيقية وراء هٰذه الخلافات التي سببت النكبات تجدها صغيرة، ولٰكنها بالتعصب والأهواء تضخّمت، فظلمَ الكبيرُ الصغيرَ، وتقاتل الأشقّاء ولم ينصاعوا للحق، كما قال طرفة بن العبد:

قَدْ يَبْعَثُ الأَمْرَ العَظِيمَ صَغِيرُهُ ... حَتَّىٰ تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبُ

وَالظُّلْمُ فَرَّقَ بَينَ حَيَّيْ وَائِلٍ ... بَكْرٌ تُسَاقِيْهَا الْمَنَايَا تَغْلِبُ

إننا بعد أن فرطنا في ديننا، والتمسنا الحلول من في غيره، تفرّقت بنا السبل وتخبطنا في الطرق، فلم نستطع السير علىٰ الصراط المستقيم الذي سيوصلنا إلىٰ الغاية المرّجوّة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

إننا نفقد الأسس الصحيحة في بناء مجتمعاتنا في كثير من المجالات، إذ لا يمكن أن يقام بناء علىٰ غير أساس، فهناك مواصفات للبناء الجيد يجب أن نتقيد بها حتىٰ لا ينهار فتفقد الأرواح والأموال. والأساس القوي لكل أمر في هٰذه الحياة هو الإخلاص والتزام العدل، والإخلاص هو جماع التقوىٰ؛ ولذٰلك ربط القرآن الكريم بين مسجد الضرار الذي بناه المنافقون علىٰ غير إخلاص ومسجد قباء الذي بناه المؤمنون بإخلاص فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة]. فهم ظنوا أن الدين بالمظاهر، وأن مجرد بنائهم لمسجد يجعلهم من المؤمنين حتىٰ لو كانت الدوافع والأغراض شيئاً آخر لا يمت للحق والدين بصلة، ولا يعرفون أن ظلمهم وانحرافهم وسوء نيتهم سيكشفه الله، وأن الله لا يهدي القوم الظالمين. فمن لم يراقب الله، ولم يخلص لله، وأطاع هواه، فسينهار بناؤه الكامل، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل].

إن إرجاع الحق إلىٰ نصابه والأخذ علىٰ يد المنحرفين عن الجادة والمستهترين بالعدالة مسؤولية كل فرد، ومن هو في موقع المسؤولية تكون مسؤوليته أعظم، ولا يقبل من المسلم أن يقول أنا مسؤول عن نفسي، فهٰذا أبو بكر الصديق ﷺ قد لاحظ سلبية بعض الناس اعتمادا علىٰ فهم خاطئ لآية في القرآن فقام خطيبا فقال بعد أن حمد الله و أثنىٰ عليه: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ مِنْهُ**»[1].

فواضح من هٰذا الحديث النبوي أنه لا مجال للسلبية والمداهنة والمداراة مع المخطئين في حقوق الأمة والمتحدّين لأوامر الله، فلا ينبغي أن يقال لأحدهم اتق الله ودع ما تصنع، ثم في اليوم الثاني نكون جلساءه أو ندعوه إلىٰ مأدبة، أو نجلس إلىٰ جانبه في حفلة عامة ونتبادل معه أطراف الحديث وكأن شيئاً لم يكن. فلو أن أهل الحق استجابوا للرسول ﷺ في هٰذا الحديث وقاطعوا أهل الباطل والظلمة المستكبرين والمنحرفين عن العدالة بعد بيان الحق لهم ونصحهم، لما كان هناك من يصرّ علىٰ الباطل ويتمادىٰ في تحدي أوامر الشرع، ولٰكن المؤسف أن تتغلب المجاملات علىٰ حساب الحق وأمر الدين، فإذا نحن لم نستطع أن نأخذ علىٰ يد الظالم ونعاقبه علىٰ ظلمه، أفلا نستطيع أن نقاطعه علىٰ الأقل؟

(١) «مسند أحمد» (رقم ٢٩)، وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (رقم ٢٣١٧).

سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ خصه الله سبحانه بحاسة خاصة تجعله في نظرته إلىٰ الناس يركز علىٰ مدىٰ ما يتمتع به الإنسان من نزوع إلىٰ الحق والعدالة والوضوح ومطابقة الظاهر للباطن، ولا يقبل الاعتماد علىٰ الظاهر من الأمور في مسألة تقييم الناس، ولذٰلك عندما شَهِدَ عِنْدَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ﷺ: إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُكَ، وَلَا يَضُرُّكَ أَنِّيْ لَا أَعْرِفُكَ، ائْتِ بِمَنْ يَعْرِفُكَ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَعْرِفُهُ يا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ! قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَعْرِفُهُ؟ فَقَالَ: بِالعَدَالَةِ وَالفَضْلِ. قَالَ: هُوَ جَارُكَ الأَدْنَىٰ تَعْرِفُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَمَدْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَعَامَلَكَ بِالدِّرْهَمِ وَالدِّيْنَارِ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِمَا عَلَىٰ الوَرَعِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَصَاحَبَكَ فِيْ السَّفَرِ الَّذِيْ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَلَسْتَ تَعْرِفُهُ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: ائْتِ بِمَنْ يَعْرِفُكَ»[(١)].

ليس في كلام سيدنا عمر ﷺ انتقاص لأعمال الظاهر، ولٰكنه يريد من الناس أن يتبينوا حقائق الأمور. فالمسألة ليست مجرد التدين الظاهري، فإن لم تنه صلاته ولا صيامه عن ظلم الناس، فإن هٰذه الصلاة والصيام اللذين أداهما ليسا كما أمر الله ﷻ؛ لذٰلك قال رسول الله ﷺ عن الصائم: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَولَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للَّهِ حَاجَةٌ فِيْ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(٢)]. نسأل الله أن يصلح ظاهرنا وباطننا، وأن يقوي إخلاصنا، ويحفظ إيماننا، اللّٰهم آمين.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (رقم ٢٠١٨٧)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (رقم ٢٦٣٧).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ١٨٠٤).

الصيف والمصايف

نحن في الشرق حيث لا زال للدين تأثيره، تختلف نظرتنا عن نظرة الغربيين بالنسبة للعلاقات الجنسية غير المشروعة. والبعض متأثر بالعادات والتقاليد فقط، فإذا فعل شيئاً من أمور العبادات فيفعله عادة لا عبادة. وأمثال هٰؤلاء عندما يسافرون إلىٰ الخارج ينطلقون من كل قيد، ويفعلون كل ما حرم الله من زنا وقمار وشراب وأكل لحم الخنزير، ويتصرفون تصرفات ينكرها عليهم الرجل الغربي الذي لا يدين بدين.

إن هٰؤلاء الذين يذهبون إلىٰ الخارج في كل صيف، ليقضوا الليالي الملاح علىٰ ضفاف الأنهار، وفي بيوت الدعارة، ونوادي القمار، يصور لهم الشيطان أنهم قد قضوا أياماً سعيدة تساعدهم علىٰ عناء العمل، وتضاعف نشاطهم. والواقع أن هٰؤلاء لا يصلحون للقيام بمهام تتعلق بمصالح الشعوب، بل إنهم خطر علىٰ أوطانهم وشعوبهم إذا استمروا في سلوكهم هٰذا، وسيؤثر هٰذا السلوك علىٰ أدائهم في العمل شاءوا أم أبوا، وهٰؤلاء كان في إمكانهم أن يتمتعوا بالسياحة البرية، واستنشاق الهواء العليل مع المحافظة علىٰ صحتهم وكرامتهم وشرفهم، وهٰذا ما سيجعلهم يؤدون عملهم بنشاط وإتقان ويفوزون بالسعادة كاملة في دنياهم وأخراهم، والله سبحانه وتعالىٰ قد هدىٰ الناس إلىٰ الطريقين طريق الخير وطريق الشر قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد]، فأعطاه ميزانه بيده، فإن أراد طريق الخير فهي أمامه، وإن أراد أن يقع في الهاوية فذٰلك شأنه. ولو وعي هٰؤلاء أن الدنيا فانية، وأن أمدها قصير، وأن الحياة الحقيقية والسعادة

الحقيقية هي حياة الآخرة، لما تمادوا في غيهم، ولما سلكوا طريق الشر وجنوا علىٰ أنفسهم. وهٰذا يجب أن يتنبه له كل عاقل، ويحسب له كل حساب، فيسرع إلىٰ التوبة من ذنوبه.

وليتذكر هٰؤلاء أنهم مقبلون علىٰ الله في يوم عظيم، فلا يغتر الواحد منهم ببهرجة الحياة وزينتها، وليحذر من كيد الشيطان وحزبه، فليس هناك إلا جنة أو نار، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر].

❊ ❊ ❊ ❊

أموالنا مهدرة

قال أحد الصحفيين: «إذا رأيت عربيًّا في هٰذه الأيام يبتسم، فاعلم أنه لا يسمع الأخبار» يقصد أن أخبار العرب والمسلمين اليوم لا تثير غير الحزن والبكاء والإشفاق فهي محزنة مبكية، إذ لا يسمعها عاقل ثم لا يتأثر ولا ينفعل.

هل أتاكم خبر من يصنعون عقود الماس في أعناق القطط، ويضعون سبائك الذهب في علب الحلوىٰ بمناسبة زواج بناتهم أو أبنائهم المدللين؟

وهل أتاك خبر أولٰئك العرب الذين يذهبون إلىٰ أوربا، وإذا دخل أحدهم مطعماً يضع علىٰ الطاولة عند خروجه مبلغاً مضاعفاً لقيمة ما أحضره المطعم له من مأكولات ومشروبات لإثبات أنه عربي كريم ذو ثروة طائلة، ظناً منه أن احترامه سيزيد ومقامه سيعظم، وما يدري المسكين أن تصرفه هٰذا يقابل بالاحتقار والتندر من الأوربيين.

إن هٰذا الجاهل الأحمق أو ذاك ينفق بل ويصرف الأموال في أوربا وأمريكا وغيرها من بلدان السياحة يميناً وشمالاً، ولٰكنه يبخل ويشح علىٰ بلاده وأهله وأرحامه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد].

ولو قلتَ له: إن لك إخواناً في قرىٰ آسيا وإفريقيا يموتون جوعاً أحق بأن تجود عليهم من مالك هٰذا الذي تصرفه في غير وجهه، لسمعت منكراً من القول وزوراً.

فيا هٰؤلاء وهٰؤلاء، ألا تعودون إلىٰ رشدكم؟ ألا تخافون من نقمة الله عليكم؟.

يَا مُعْرِضاً بِوَصَالِ عَيْشٍ نَاعِمٍ ... سَتَصُدُّ عَنْهُ طَائِعاً أَوْ مُكْرَهاً
إِنَّ الحَوَادِثَ تُزْعِجُ الأَحْرَارَ عَنْ ... أَوْطَانِهَا وَالطَّيرَ عَنْ أوكَارِهَا

إن النعم التي أنعم الله بها علىٰ عباده تتطلب المحافظة عليها بالعدل والاعتدال وشكر الله عليها بعدم مبارزته المعاصي والفجور كما قال علي رضي الله عنه:

إِذَا كُنْتَ فِيْ نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ الْمَعَاصِيْ تُزِيْلُ النِّعَمْ
وَحَافِظْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلَهْ ... فَإِنَّ الإِلَهَ شَدِيْدُ النِّقَمْ

وإنفاق الأموال فيما يغضب الله وفيما لا نفع فيه من الأبواب والمنافذ لنشر الشر والفتنة، والعاقل من اتعظ بغيره.

والقرآن الذي أودع الله فيه من العبر والحكم، لو تأمل المسلمون ونظروا فيها بعقولهم وقلوبهم وصدقوها بعملهم لتجنبوا المآزق والمهالك، وكانت حالهم غير هٰذه الحال، فقد حذرنا الله في كتابه الكريم القرآن العظيم من العواقب الوخيمة للبطر والبذخ والترف والظلم والاستهتار في آيات بينات محكمات.

ولنقرأ إذا شئنا هٰذه الآيات من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، لنرىٰ مصير المترفين المستهترين والطغاة الظالمين الذين كفروا بأنعم الله هم ومن والاهم ونافقهم وسكت علىٰ جرائمهم ، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء]، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا

كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل]، وقال ﷻ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص]، وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال جل في علاه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم].

ولا يسعنا في هٰذا المقام إلا نستجدي رحمة الله، فنقول: رحماك يا رب.

❁ ❁ ❁ ❁

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾

كانت بلاد العرب غنية بثرواتها، وتصدر منتوجاتها إلىٰ مختلف دول العالم، باستثناء جزيرة العرب التي لا يوجد فيها ما تصدره قبل اكتشاف البترول، فقد كان لمصر دَيْنٌ علىٰ بريطانيا عام ١٩٥٢م أربعمائة مليون جنيه استرليني، وكان الفرد في الشام لا يحتاج إلىٰ أي شيء خارج بلاده من المأكل والملبس، فقد كانت هناك تجارة قوية وثروات زراعية هائلة، وكان العراق يغطي حاجته وحاجة كثير من الدول من ثروته الزراعية.

ترىٰ ماذا جرىٰ! هل تبدلت الأرض غير الأرض، أم أن الناس غير الناس؟

صحيح أن الناس كانوا غير الناس، ولٰكن الذين كانوا من قبل لم يكونوا في مستوىٰ هٰذا الجيل من التعليم والثقافة والوعي، فهل كان الأولون علىٰ قلة ثقافتهم وعلمهم ووعيهم أكثر حيوية ونشاطاً؟

هٰذه الأسئلة ينبغي أن يجيب عنها الجيل الحالي ليتخلص من العجز الذي يعيشه والسلبية التي تكتنفه لينطلق في رحاب التقدم والمجد ويعيد المكانة التي كانت لأسلافه في يوم من الأيام.

ينبغي أن نعترف بأننا نحن السبب، ونحن من نتحمل مسؤولية هٰذا الوضع المتردّي للأمة، ولا ينبغي أن نلقي المسؤولية علىٰ غيرنا و نتخذ أسلوب الإسقاط.

ينبغي أن نعترف بأننا اعتنقنا مبادئ وأفكاراً بعيدة عن واقعنا، وركبنا

الغرور، وسلكنا طرقاً ليست هي طرق السلامة، وسمحنا للظلم والتعسف والاستبداد أن يسود ويتحكم في مجتمعاتنا.

نحن سمحنا للشقاق أن يتسع بيننا، وفتّتنا وحدتنا ووحدة مشاعرنا بأيدينا، وتفرقنا شيعاً وأحزاباً.

نحن ركبنا رؤوسنا ولم نلتفت إلىٰ ما حولنا، ونخطوا الخطوات ولا ننظر إلىٰ مواضع أقدامنا، كل ذٰلك مصحوب بالارتجال والفوضىٰ واتباع الهوىٰ.

يقول بعضهم: إن ما جرىٰ هو أمر لا بد منه، ويبرز السلبيات والهزائم، ويزعم أننا بالنقد إنما نجلد الذات، ويطلب أن نتوقف عن هٰذا الجلد، ولٰكنه لم يأت بالحجة المقنعة، وإنما يذهب يتخبط هنا وهناك، ويريد أن يقول: إنه ليس في الإمكان أبدع مما كان.

والحق أن علينا إذا أردنا أن نصلح أنفسنا ونصلح أمورنا ونهزم أعداءنا أن نعترف بالواقع ونغير ما بأنفسنا؛ تلك هي سنة الله في خلقه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]. فليكن التغيير في اتجاه طريق الخير، فلنلتزمها ولا نحيد عنها، فحينها تتغير أحوالنا، ويصلح لنا أمر الدين والدنيا، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

نسألك اللَّهم أن تهدينا إلىٰ سواء السبيل، ولا تؤاخذنا بما يفعل السفهاء منا، واهدنا إلىٰ الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

❁ ❁ ❁ ❁

توفير الأمن الغذائي عبادة لله

هناك ارتباط وثيق بين الاستقلال السياسي والاحتياجات الغذائية، فإذا تعرضت الأوطان لضغوط تهدد الأمن الغذائي يمتد ذٰلك التهديد إلىٰ القرار السياسي، وعند الأزمات وشدة الحاجة إلىٰ الغذاء تكون البلاد التي لا تملك الغذاء تحت رحمة من يسيطر عليه ويملكه، والشعوب تستطيع أن تستغني عن أشياء كثيرة في الأزمات إلا الغذاء، بل إن الأمم التي فقدت مصادر غذائها نتيجة ظروف معينة تلاشت وتبددت. وأظهر مثال لذٰلك قصة سبأ التي ذكرها الله في القرآن، عندما تهدّم سد مأرب بفعل سيل العرم، الذي سلطه الله عليهم عندما كفروا بنعمته، فأفقدهم الأمن الغذائي الذي هو أهم من الأمن العسكري قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ (١٨) فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)﴾ [سبأ].

فالإسلام قد أوقف حماقات العرب، وأرشدهم إلىٰ ما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم، وهٰذه الحماقات لا ترتكب إلا عندما يتخلىٰ المسلمون عن عقيدتهم ويتحكم فيهم الجهل، فيتحكم فيهم الأعداء بدون عناء، قال المتنبي:

لَا يَـبْـلُـغُ الأَعْـدَاءُ مِـنْ جَـاهِـلٍ   مَـا يَـبْـلُـغُ الـجَـاهَـلُ مِـنْ نَـفْـسِـهِ

لقد كان العرب بعد أن أكرمهم الله بالإسلام مهتمين بالزراعة في بلادهم ليوفروا لأنفسهم الأمن الغذائي، ويذكر التاريخ عنهم أنهم عندما ينزلون ببلد جديد يهتمون بأمرين في وقت واحد، تنظيم الزراعة وبناء المساجد، أي أنهم يهتمون بغذاء الروح وغذاء الجسم معاً، لذٰلك لم تشهد البلاد العربية تصحّراً أبدا غير التصحّر الطبيعي، أما اليوم فإلىٰ جانب التصحّر والجفاف في الروح والعقل هناك تصحّر في الأرض الزراعية بفعل الإنسان نفسه وتكاسله.

لقد اجتمع خبراء التغذية والزراعة العرب في وقت سابق في أبو ظبي، وتبين من دراساتهم أن استهلاك السلع الغذائية في الوطن العربي ككل يزداد سنوياً بمعدل (٧ ٪)، في حين أن نمو الإنتاج الغذائي يتراوح سنوياً بين (١و٢ ٪) فقط، وأثبت هٰؤلاء الخبراء أن البلدان العربية مضطرة لاستيراد (٦٠٪) من حاجتها الغذائية، وفي عام ١٩٨٥م بلغت قيمة واردات الدول العربية من المواد الغذائية (٥ر٢٢ مليار دولار)، وأن البلاد العربية وحدها تستهلك (٧ر٧٧ ٪) من الصادرات العالمية من لحوم الغنم، وأنها لا تزرع إلا (٤٪) فقط من الأراضي القابلة للزراعة، ومعنىٰ هٰذا أن التصحّر يهدد البلاد العربية، وأن زحف الصحراء هو المشكلة الأساسية التي ستحول دون تحقيق الأمن الغذائي خلال السنوات المقبلة. ويحمِّل الخبراء الزراعيون الإنسان المسؤولية الأولىٰ في تنامي ظاهرة التصحّر، ويوردون ثلاثة عوامل رئيسة هي:

(١) الاستغلال المفرط للمراعي والكلأ، الأمر الذي يضر بالثروة النباتية.

(٢) الاستخدام السيئ لعمليات الري والثروة المائية بصورة عامة.

(٣) التحدي المتزايد علىٰ الأراضي الزراعية والثروة الحرجية والغابات، وما يتبع ذٰلك من إخلال بالنظام البيئي.

ويرجع الخبراء العجز العربي الغذائي إلىٰ التصنيع المطرد الذي يمتص اليد العاملة الزراعية ويغريها بهجرة الأراضي والعمل في المصانع، وإلىٰ النقص في المياه، وأخيراً إلىٰ الأوضاع السياسية التي تتّسم بعدم الاستقرار. وهٰذا الأخير وإن كان الخبراء جعلوه في الدرجة الثالثة ولم يوضّحوه، هو في الواقع السبب الرئيسي لهٰذا التصحّر الذي عمّ البلاد العربية في كل مجال. فبسبب الثورات التي تبنت الفكر الاشتراكي سابقاً، والتي قامت بأسماء مختلفة، عاد العرب إلىٰ حماقاتهم، وانتشرت البغضاء والكراهية بينهم، وبحجة إنصاف العمال والكادحين، والقضاء علىٰ الإقطاع نزعت ملكيات الأراضي من أصحابها، وانشغل الناس بالشعارات، ودبّ الفزع والخوف في نفوس أصحاب رؤوس الأموال، فهرّبوا أموالهم إلىٰ خارج البلاد، وقُتِل الطموح والنشاط في الفرد، وهيمن الانتهازيون وأصحاب الضمائر الميتة علىٰ مقدرات البلاد، فساد الكسل والتواكل، وزادت الديون، وأصبحت بلدان العالم العربي والإسلامي مثقلة بها مما عرقل تنميتها.

وإذا كان الخبراء يحملون الإنسان العربي المسؤولية عن المصير التي آلت إليها الأراضي الزراعية، فإنه يجب أن نجعل من الإنسان العربي يشعر بالمسؤولية الملقاة علىٰ عاتقه. فكيف جعله كذٰلك؟.. نجعله كذٰلك بأن نغرس فيه القيم الإسلامية، فتوفير الأمن الغذائي للإنسان في حكم الإسلام عبادة لله، ولذٰلك أدلة كثيرة؛ منها قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج]، وقوله ﷺ قال: «**فِيْ كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»[1].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) «صحيح البخاري» (رقم ٢٢٣٤)، و«صحيح مسلم» (رقم ٥٩٩٦).

حوادث السيارات

هناك حملات توعية لٰكن حملات التوعية وحدها لا تكفي، بل لابد من أن تكون هناك رقابة شديدة علىٰ المخالفين الذين يعرضون حياة الناس للخطر، فهناك شباب متهوّرون بعضهم يسوق سيارته وكأنه طائر في الهواء لا يحسب حساباً للآخرين، فلا يهمه أن يقتل نفسه أو يقتل غيره، فهٰؤلاء ينبغي ملاحقتهم، وتقديمهم للمحاكمة بتهمة تعريض حياة الناس للخطر، ومحاسبتهم في ذٰلك وفق أحكام الشريعة، ولا ينبغي التساهل معهم في ذٰلك. فإذا كانت إحصاءات الحوادث مرتفعة، ويموت بسببها عدد كبير من الناس، فكيف يجوز التساهل مع متسبّبي هٰذه الحوادث، فلابد من مضاعفة الاهتمام بحركة المرور، ووضع حد لتهوّرات السائقين.

وينبغي أن يكون الناس جميعهم مراقبين، لأن مسؤولية الحفاظ علىٰ أمن الناس وسلامتهم مشتركة بين أفراد المجتمع، وهٰذا منكر، والرسول ﷺ يقول: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[1]، فلا يجوز أن يكون الناس كلهم ضعفاء الإيمان، وعلىٰ السلطة أن تشجع المواطنين في ذٰلك، وعلىٰ الشباب المسلم أن يكون مثالاً في الالتزام بالنظام والمحافظة علىٰ أرواح الناس وأموالهم.

إن ضحايا حوادث السيارات تفوق أمراض السرطان، والقلب يتفطر

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٨٦).

ألماً ونحن نسمع عن الحوادث الأليمة، ففي كل يوم تنشر الصحف أن شاباً ذهبت حياته في حادث أليم، فالشباب ثروة الأمم الحقيقة وعصب الحياة فيها، فهل في إمكاننا أن نحافظ علىٰ هٰذه الثروة ونتلافىٰ هٰذه الحوادث؟.

إن حل كل مشكلة يكون أولاً بمعرفة سببها ثم يعالج هٰذا السبب بما يضمن حل المشكلة أو التخفيف من مضاعفاتها، ولقد تبين من تتبع أسباب حوادث السيارات الأليمة أن أهم سبب لهٰذه الحوادث هو السرعة المتناهية في قيادة السيارات، ومن المؤسف أن هناك برامج في التلفزيون تحرض الشباب علىٰ قيادة السيارات بصورة عنيفة، وقد رأينا أن الشباب يقلدون سباق السيارات. وإذا كان أولٰئك الذين يتسابقون فيما يسمىٰ بسباق السيارات كانوا في أماكن بعيدة ولا تمثل خطراً علىٰ الناس، فإن الذين يقلدونهم من الشباب يتسابقون في الشوارع العامة في المدن وخارج المدن، وقد رأينا كيف أن بعض الشباب يسوقون سياراتهم في الشوارع العامة علىٰ عجلتين مقلدين سباق ما يسمىٰ بسباق السيارة البارعة.

إذا كان هٰؤلاء السائقون المتهورون لم يكترثوا بما يحصل نتيجة السرعة المفرطة، فينبغي أن نضع الحل المناسب لإيقاف هٰؤلاء المتهورين عند حدهم، وإذا كان هٰؤلاء قد هانت عليهم أنفسهم فعرضوها للهلاك، فينبغي أن يُمنعَوا ولا يُمكَّنوا من إهلاك الآخرين؟ ولا أن يتسببوا في مشاكل وتكاليف وأضرار لغيرهم تترتب علىٰ أفعالهم، فلابد أن يُحْمَوا من أنفسهم وأن يُحْمَىٰ الآخرون منهم.

والطريقة المتبادرة في منع السرعة هي أولاً تشديد الرقابة علىٰ السير في الطرقات، ثم منع كل من اعتاد السرعة والمخالفة من القيادة نهائياً، والتشديد في العقوبات لمن يتسببون في الحوادث نتيجة السرعة والتهور، والتشديد أكثر علىٰ من يتعاطون المسكرات والمخدرات.

وبهٰذه المناسبة نرىٰ إعادة النظر في بعض مواد قانون المرور، فمثلاً

يخفض الحد الأقصىٰ للسرعة خاصة في المدن والقرىٰ والأماكن المأهولة.

وإذا كان الفقيه ابن الوردي يقول:

وَاهْجُرِ الخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًىٰ   كَيْفَ يَسْعَىٰ فِيْ جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ

فمن أجل أن تكون مناسبة أيضاً للسرعة، فقد اقتبسنا من قول ابن الوردي هٰذا، وقلنا:

خَفِّفِ السُّرْعَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًىٰ   كَيْفَ يَسْعَىٰ فِيْ هَلَاكٍ مَنْ عَقَلْ

كما ينبغي سحب رخصة القيادة لفترة معينة أو سحبها نهائياً بحسب ما يقتضيه الحال، والتشديد في ذٰلك. كما يشدد في قوانين إعطاء الرخصة بضوابط تحدّ من حدوث هٰذه الحوادث.

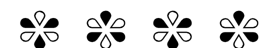
كما ينبغي تشديد نظام العقوبات في هٰذه القضية، ولا يخفىٰ أن العقاب ضرورة اجتماعية حفاظاً علىٰ سلامة المجتمع وأمنه واستقراره، وليس الغرض من العقاب مجرد إنزال جزاء أليم بالجاني بعد ارتكاب الجناية، وإنما في المقام الأول الحيلولة دون وقوع الحوادث الخطيرة بقدر الإمكان، وكلما كان العقاب فعّالاً في تحقيق الغرض كان ناجحاً في منع تلك الحوادث، إذ كلما ازداد الخطر واستفحل تكون شدة العقاب في ذاتها مانعة وحائلة دون هٰذه الأخطار، والأهم من كل ذٰلك هو شدة الرقابة والملاحظة ومنع المخالفات حتىٰ لا يترك مجال للمتهورين والسفهاء والعابثين لتهديد حياة الناس وإتلاف أموالهم. إنها مسؤولية مشتركة تقع علىٰ عاتق كل من يستطيع أن يقدم خدمة في سبيل المصلحة العامة والمحافظة علىٰ أرواح الناس وممتلكاتهم.

وإذا نحن نظرنا إلىٰ ما يفرضه الإسلام علىٰ المسلم من واجبات في مساعدة الآخرين وإنقاذ حياة كل إنسان عندما يتعرض للخطر، نجد أن هناك أحكاماً واضحة في هٰذا المجال، فقد نص الفقهاء علىٰ مسؤولية

المهمل في الشرع الإسلامي، فما بالك بالمتهور إذا ترتب علىٰ إهماله ضرر بالغير.

فمن جملة نصوص الفقهاء في ذٰلك مثلاً ما جاء في كتاب «المحلىٰ» لابن حزم: «أن رجلاً استسقىٰ علىٰ باب قوم فلم يسقوه حتىٰ مات من العطش، فضمنهم عمر بن الخطاب ديته[1]. ومعلوم أن الحكم بالدية إذا كانوا قد امتنعوا عن سقيه نتيجة إهمال، أما إذا كان الامتناع متعمداً من أجل قتله فإن عليهم القصاص، كمن يحبس شخصاً ويمنعه الطعام والشراب حتىٰ يموت، فإن هٰذا يقول عنه الفقهاء ترك قصد به القتل، فهو ترك يحمل معنىٰ الإيجاب، ونص الفقهاء: أن الأم إذا منعت ولدها الرضاع حتىٰ مات، فقد قتلته إن قصدت ذٰلك»[2].

وأخيراً نقول: ينبغي بذل كل جهد لإيقاف هٰذه المأساة، والتعاون من كل الناس علىٰ إنقاذ الضحايا الأبرياء، فكل فرد مسؤول أمام الله لحفظ أرواح الناس وأموالهم، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]. فلنتق الله في الأبرياء من ضحايا السير في الطرق.



(١) «المحلىٰ» (١١/١٨٥).

(٢) «حوادث السير» للمؤلف (ص٨).

فمن أنباك أن أباك ذئب؟

الوفاء من الأخلاق العالية التي يمتحن بها معادن الرجال وأصالتهم، وجاء الإسلام ورسخ هٰذه الأخلاق وقوّاها في النفوس، ومقت الغدر والمكر والخيانة، جعلها من علامات النفاق؛ فكان المجتمع الإسلامي هو مجتمع الفضيلة بحقّ، ولٰكن اليوم تكاثر اللّئام وقلّ الكرام، فقلَّ أن تجد صديقاً وفياً، وإذا عشت بين مجموعة تظنهم أصدقاء أوفياء وزملاء أصفياء؛ تتفاجأ أنك بين حشرات سامة وثعالب ماكرة، ويتكشف لك بعضهم أنه كحية رقطاء، والآخر كعقرب سام لا هم له ولا شغل إلا اللدغ والمكر والخبث والنكاية بالآخرين، يكيدون لك وأنت منهم في غفلة، ويفرغون السموم في جسدك وأنت تظن أنهم يسقونك عسلاً ولبناً، فانحطت الأخلاق، وفسدت الذمم، وانعدمت القيم.

لقد رأينا من يتنكّرون لآبائهم وأمهاتهم، كما رأينا من يتنكّرون لأساتذتهم ومعلميهم ومن لهم فضل عليهم في علمهم وعملهم، فترىٰ أحدهم بعد أن يتخرج ويأتي إلىٰ العمل، وبعد أن يتمكن يقلب لهم ظهر المجن، فيتكبر عليهم، ويذيقهم المرّ بالوشاية بهم، ويلفق التّهم عليهم كما قال معن بن أوس:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ حِينٍ ... فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِيْ

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي ... فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِيْ

لقد أفاضت كتب الأدب العربي في ذكر القصص في هٰذا المجال

للإرشاد إلىٰ الوفاء والتحذير من المكر ونكث العهد، والدعوة إلىٰ رد الجميل وفعل المعروف، وذكرت صوراً من الغدر والخيانة باعتبار ذٰلك من صفات الوحوش لا من صفات الإنسان.

فمما يحكىٰ أن امرأة قروية خرجت لتحتطب من الوادي، وفي أثناء جمعها للحطب وجدت ذئباً صغيراً تركته أمه، فأخذت المرأة هٰذا الذئب الصغير وحملته إلىٰ بيتها، وقامت بتربيته وأرضعته من شاتها، فكانت تمسك له الشاة عند الرضاع، حتىٰ ألفته الشاة وأصبح كأنه ولدها، فكان يتغذىٰ بلبنها كل يوم، فكانت الشاة تلوي عنقها له وتتحسسه بفمها وتضمه إليها ليتمكن من الرضاع، فأضفت عليه حناناً لم يجده من أمه التي ولدته، فترعرع في أحضانها، وفي رعاية المرأة صاحبة الشاة، حتىٰ كبر وظهرت أنيابه وقويت واشتدت، فأنقض علىٰ الشاة وبقر بطنها، وأخذ ينهشها ويأكل من لحمها وتركها مقطعة الأوصال، وهرب إلىٰ حيث توجد الذئاب والوحوش في الفلوات والأودية والغابات، فجاءت المرأة إلىٰ شاتها تريد إطعامها وتطمئن علىٰ هٰذا الذئب، فصعقت من هول ما رأت في شاتها، ووضعت يدها علىٰ رأسها وهي تنظر إلىٰ الشاة وقد بُقِرت بطنها، وتقطعت أوصالها، ثم نظرت إلىٰ أعلىٰ فرأت الذئب علىٰ الجدار فقالت:

بَقَرْتَ شُوَيْهَتِيْ وَفَجَعْتَ قَلْبِيْ ... وَأَنْتَ لِشَاتِنَا ابْنٌ رَبِيْبُ
غُذِيْتَ بِدَرِّهَا وَنَشَأْتَ مَعْهَا ... فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذِيْبُ
إِذَا كَانَ الطِّبَاعُ طِبَاعُ سُوءٍ ... فَلَا أَدَبٌ يُفِيْدُ وَلَا أَدِيْبُ[1]

فلنتمسك بمكارم الأخلاق ولنبتعد عن صفات اللؤم والخسة والغدر والخيانة.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «المستطرف في كل فن مستظرف» (٤٥٢/١).

العقد النفسية

عندما ترىٰ شخصاً يسعىٰ نحو إثارة المشاكل التي تسبب استنكاراً في المجتمع، ويكون عنده ميول عدوانية نحو الآخرين، فمثل هٰذا الشخص مصاب بخلل نفسي، وهٰذا الخلل قد يصيب أفراداً لهم اعتبارهم في المجتمع، وهم إن لم يقدموا علىٰ الجريمة خوفاً من العقاب تجدهم يرتكبون أفعالاً وإن لم تصل إلىٰ مرحلة التجريم، لٰكنها مخالفة لقواعد الأخلاق والآداب العامة والقيم التي تسود الجماعة. وهٰؤلاء يسمّون في اصطلاح علم الإجرام والعقاب بالمتشككين، فتراهم دائماً عديمي الثقة في الغير، يسيطر عليهم الشك في تفسير الوقائع التي تقابلهم، ويحكمون علىٰ الناس من غير تثبت، فيقعون في المحذور، فيتسببون في خلق مشاكل لأنفسهم ولغيرهم، من غير أن يقدّروا عواقب تصرفاتهم. وهٰذا الخلل النفسي يرجع إلىٰ عوامل شخصية وعوامل بيئية من شأنها أن تفوق قدرة الشخص علىٰ ضبط نفسه، وتضعف من سيطرته علىٰ الدوافع الداخلية. فالسلوك المنحرف ما هو إلا صورة للقوىٰ الداخلية والخارجية، وتتمثل القوىٰ الداخلية في الدوافع والبواعث المختلفة الكامنة في الشخص، في حين تتمثل القوىٰ الخارجية في الضغوط البيئية التي تدفع أو تمنع حركة الفرد ذاته لتحقيق أهدافه واختيار وسائله. فالإنسان قد تسيطر عليه الذات الدنيا وهي مجموعة النزعات الغريزية والميول الفطرية التي تحاول أن تجد إشباعاً لها بأي شكل كان من غير اعتبار للقيم، والمثل التي تمثل الذات العليا، هم الذين يلقون اعتباراً للقيم والمثل، ولٰكن حتىٰ الذين عندهم

ذات عليا أحياناً تكون الذات عندهم قاسية للغاية، وشاذة وغريبة تسعىٰ وراء إرضاء رغباتها فقد يرتكب الجرم دون أدنىٰ ندم.

والفرد المصاب بالعقد النفسية قد يرتكب عدة أخطاء لا يفطن لها، فعقدة النقص مثلاً وهي استعداد لا شعوري مكبوت، الفرد قد لا يفطن إلىٰ هٰذه العقدة، وقد لا يشعر بالنقص، وإذا ما عوتب أو نُصِح بما يفعله تجد منه الإسراف في التبرير.

والمصابون بالعقد النفسية ضررهم ينعكس علىٰ الجماعة، خاصة إذا كانوا قادة أو ولاة علىٰ الناس، فإنهم يجدون لذة في عذاب الناس، ولا تتطرق إلىٰ قلوبهم رحمة أو شفقة، لأنهم ليسوا بأسوياء في أخلاقهم، ومن بين هٰؤلاء يخرج الظلمة والمفسدون الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة].

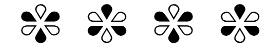
وهٰؤلاء الظلمة والمفسدون وإن كانت تصرفاتهم نتيجة عقد نفسية واختلال نفسي، إلا أنهم مسؤولون عنها، لأنهم يتمتعون بكامل قواهم العقلية عندما يقدمون علىٰ هٰذه التصرفات، وإلا أعفينا كل المجرمين عن جرائمهم التي يرتكبونها، إذ ما من مجرم يرتكب جريمة إلا وله دوافع نفسية، غير أن هٰذه الدوافع لا تؤثر علىٰ أهليته وإرادته، فيتحمل مسؤولية تصرفاته. فالذين يبررون الجرائم بظروف المجرمين وحالتهم النفسية، إنما يتجاهلون حق الجماعة وحمايتها من العناصر الشريرة، فالعقوبة الزاجرة رد فعل طبيعي للجماعة، ونتيجة منطقية وضرورية للجريمة، وكل العصاة عندهم أمراض نفسية، وعلىٰ رأس هٰؤلاء المنافقون فإن معصيتهم مرض نفساني، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة]. فهو مرض يجيش في الصدور، ويمنع أهله من قبول الحق، ويدفعهم إلىٰ

معاداة أهل الحق. فالمنافقون مليئة قلوبهم بالأمراض، منها مرض الشك المفسد للعقيدة والأخلاق، ومرض الغل والحقد والحسد، وهٰؤلاء لا ينصاعون للحق، ويتخيلون فسادهم إصلاحاً، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة]. فهم يتمادون في الباطل علىٰ الرغم من كل النصح والتوجيه، لأنهم يخدعون أنفسهم، فيزعمون أن الذي يأتونه من الفساد إنما هو إصلاح، ويبرّرون كل أفعالهم الخاطئة.

وكل أمراض المنافقين يجمعها مسمىٰ واحد هو مرض الظلمة، فهناك ظلمة الطبع، وظلمة الهوىٰ، وظلمة الشهوة، وظلمة حب التسلط، وظلمة الحقد، وظلمة الحسد، فتتجمّع هٰذه الظلمات جميعها، فتكون ظلمات بعضها فوق بعض، قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة].

فهم يصمون آذانهم عن كلمة الحق، والصم أشد من الطرش، لأنه انسداد منافذ الأذن، والبكم عيب في اللسان أو الفؤاد، يمنع النطق والوعي، فيجمع بين الفساد في محل الفهم ومحل النطق، والعمىٰ فقد البصر والبصيرة، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم أبداً، فلا يرون نور الحق، ولا يسمعون كلمة الحق، ولا يعرفون الحق.

والعباد قد يبتلون بأنواع معينة من البشر لا ينفع فيهم نصح ولا وعظ ولا إرشاد، ولا زجر ولا عقاب، والمصيبة أن يكون هٰذا المبتلىٰ به ممسك بزمام حاجة من حاجاتهم، ولا يستطيعون الاستغناء عنه ولا التخلص منه، فلا يسعهم إلا الشكوىٰ إلىٰ رب العباد ليخلصهم منه ومن عقدهم النفسية.



التبكير إلىٰ العمل من صميم الدين

كان آباؤنا وأجدادنا ينامون مبكرين، ويستيقظون مبكرين، فكانوا أكثر حيوية ونشاطاً وأصح أجساماً منا اليوم، وما زال أهل الجد والنشاط في الغرب يحافظون علىٰ هٰذه العادة؛ فينامون مبكرين، ويستيقظون مبكرين، أما الذين يسهرون في الملاهي إلىٰ الصباح، ويخلدون إلىٰ النوم في النهار؛ فهم أولٰئك الذين لا قيمة لهم، ولا دور لهم في الحياة؛ من الطفيليين الذين يعيشون علىٰ الدعارة والنصب والاحتيال، وأكثر هٰؤلاء يصابون بمختلف الأمراض.

وقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يكون الليل وقتاً للنوم والنهار وقتاً للمعاش: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [النبأ]. فالذين يسهرون بالليل وينامون بالنهار يضحون بفوائد جمة، فأعضاء الجسم تنال من نوم الليل من الفوائد الصحية أضعاف ما تناله في نوم النهار، وقد اكتشف العلم أن الغدة الصنوبرية في الدماغ تقوم بإفراز مادة الملاتينين، ويزداد إفراز هٰذه المادة في الظلام، ولها تأثير مباشر علىٰ النوم، وسكون الليل وهدوؤه يهيئ للإنسان أحسن الظروف للراحة، وإذا ما خالف الإنسان سنة الحياة وجعل النهار نوماً والليل سعياً فقد عمل ضد طبيعة الأشياء، وعرّض نفسه للأمراض والإرهاق العصبي. أما إذا أخذ الإنسان راحته بالنوم في الليل، واستيقظ مع الفجر، فإنه يجد لذة ونشوة خاصة عندما يستنشق نسيم الفجر، مع ما في ذٰلك من الفوائد الصحية الكبيرة الكثيرة، فقد قال علماء الطبيعة والطب: إن أعلىٰ نسبة

لغاز الأوزون عند الفجر، وتقلّ تدريجياً حتىٰ تضمحل عند طلوع الشمس، ولهٰذا الغاز تأثير مفيد للجهاز العصبي بحيث يجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية والعضلية تكون في الصباح الباكر. وقال الأطباء: إن الإنسان الذي ينام ساعات طويلة علىٰ وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب؛ لأن السكون المطلق إذا دام طويلاً أدىٰ إلىٰ ترسب المواد الدهنية علىٰ الأوعية الشريانية. فالمؤمنون الذين يقومون الأسحار، ويتقربون إلىٰ الله بالدعاء والصلاة قد وقوا أنفسهم من التعرض لهٰذه الإصابة، وهم عندما يتطهرون ويقومون إلىٰ الصلاة يقومون برياضة روحية وجسمية. وصلاة الفجر التي سماها الله في كتابه الكريم قرآن الفجر: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨]، إذا أداها المسلم في وقتها فقد حظي بالسعادة، فمع ما يناله المسلم من فوائد الاستيقاظ المبكر، كما أن أداء الصلاة بقيامها وركوعها وسجودها وجلوسها فيه فوائد صحية للجسم في هٰذا الوقت المناسب لبداية الحياة اليومية، فتحرك فيها عضلات الجسم ومفاصله، وتنشط الدورة الدموية، وتتحسن وظائف الدماغ، وتتقوىٰ عضلات الشرايين الدماغية فيحافظ علىٰ مرونتها من التمزق والنزيف، ويتأقلم الجسم مع الوضعيات المفاجئة فيحميه من كثير من الأعراض، وفوق كل ذٰلك هناك الاطمئنان النفسي، فهي صلاة تشهدها ملائكة الرحمٰن، وبها ينال العبد رضوان الله، فإذا فرغ المسلم من أداء ما عليه لله ولجسمه فليبكر إلىٰ عمله، وقد قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِيْ فِيْ بُكُورِهَا**»[1].

فإنه إذا ذهب مبكراً إلىٰ العمل استطاع أن ينجز كل أعمال اليوم أو أكثرها، وهزم الوقت الذي قيل فيه: إنه كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

---

(١) «مسند أحمد» (رقم ١٣١٩)، و«سنن أبي داود» (رقم ٢٦٠٨)، و«سنن ابن ماجه» (رقم ٢٢٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٥١٥٢).

فالتبكير في العمل يوفر كثيراً من الجهد والوقت، فكثير ممن هو مكلف بالحضور إلىٰ عمله في وقت معين يحضر إلىٰ مكتبه متأخراً، قد ضجر المراجعون أمام مكتبه من انتظاره، ثم ربما قال لهم احضروا غداً وهٰكذا دواليك، فلاشك أن في هٰذا تقصيراً وتفريطاً في حق نفسه وغيره.

وإذا قلنا إن في البكور بركة، فإن التبكير إلىٰ العمل الحلال من صميم الدين.



التسول

المسألة عادة سيئة ورديئة لا تليق بمسلم، فالمسلم عزيز النفس، قنوع لا يذل نفسه لأحد، وكم إنسان غني بالمال لٰكنه فقير في القيم والأخلاق طمّاع شَرِهُ النفس. فمن أراد الله به خيراً جعل غناه في قلبه، ومن أراد به شراً جعل فقره بين عينيه، فكم من غني يمتلك العقارات والأرصدة في البنوك ولٰكنه فقير بلؤم الطبع وفرط الشره وإشراف النفس إلىٰ ما في يد الغير.

وقد أصبح التسول حرفة لبعض الناس، ومهنة امتهنوها، فتركوا العمل وهم يقدرون عليه، والرسول ﷺ يقول: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِي بِحُزْمَةِ اَلْحَطَبِ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اَللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ اَلنَّاسَ أَعْطَوهُ أَوْ مَنَعُوهُ**»[1]. فالعمل ولو بالاحتطاب والحمل خير من أن تريق ماء وجهك بالمسألة. والغريب أن بعض الناس يعيب العمل ولا يعيب المسألة، وهٰذا الجهل المشين.

فالذي يطرق باب العمل ولا يطرق باب المسألة فإنه سلك السبيل الصحيح لرضا الله سبحانه وتعالىٰ، فيسأل الله من رزقه القائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك]. فليس المشي في مناكبها هو ذرع الشوارع من بيت إلىٰ بيت ومن

---

(١) «صحيح البخاري» (رقم ١٤٠٢).

متجر إلىٰ متجر، وإنما هو العمل من أجل أن يعف نفسه، وينفق علىٰ أهله وأولاده من كد يده.

لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً ... وَسَلِ الَّذِيْ أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
فَاللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنَيُّ آدَمَ حِيْنَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

فالنملة تسعىٰ لكسب رزقها من الأرض، والطيور تفارق أوكارها من أجل الرزق، فكيف بالإنسان الذي وهبه الله العقل والجوارح؟

فالذي يستطيع العمل ولا يعمل لا يجوز إعطاؤه الصدقة؛ لأن ذٰلك تشجيعاً له علىٰ الكسل، وليس كل من يقرع الأبواب يطلب صدقة مسكيناً، قال الرسول ﷺ: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَىٰ النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًىٰ يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**»(١)، وجاء رجلان إلىٰ النبي ﷺ يسألانه الصدقة فقلب فيهما البصر ورآهما جلدين، فقال: «**إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا وَلاَ حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ، وَلاَ لِقَوِيٍ مُكْتَسِبٍ**»(٢).

والذين يسألون الناس وهم لهم أعمال أو لهم موارد تسد حاجتهم، أو يسألون الناس تكثُّراً، فإن هٰؤلاء معرضون لعقاب الله، قال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّراً فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**»(٣)، وقال: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»(٤). وقال: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ فِي غَيْرِ فَاقَةٍ نَزَلَتْ بِهِ، أَوْ عِيَالٍ لاَ**

(١) «صحيح البخاري» (رقم ١٤٠٩).

(٢) «سنن أبي داود» (رقم ١٦٣٥)، و«سنن النسائي» (رقم ٢٥٩٨)، وصححه الألباني.

(٣) «صحيح مسلم» (رقم ٢٤٤٦).

(٤) «صحيح البخاري» (رقم ١٤٠٥)، و«صحيح مسلم» (رقم ٢٤٤٥).

يُطِيقُهُمْ، جاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِوَجْهٍ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ»[1]، وقال: «**مَنْ فَتَحَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ نَزَلَتْ بِهِ، أَوْ عِيَالٍ لاَ يُطِيقُهُمْ، فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ الفَاقَةِ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ**»[2].

وأولىٰ الناس بالتصدق عليهم والبحث عنهم، هم الفقراء المتعفّفون الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وحتىٰ لو كان الإنسان محتاجاً، فينبغي ألّا يذل نفسه بالسؤال إلا إذا اضطر أو بلغت الحاجة منه مبلغاً، يقول عليه الصلاة والسلام: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ**»[3].

ومن المؤسف أنك ترىٰ شبابا في أوج شبابهم وقوتهم امتهنوا الشحاذة، وترىٰ شابات فاتنات، ونساء مائلات مميلات يذهبن من شارع إلىٰ شارع ومن بيت إلىٰ بيت.

نسأل الله أن يغنينا من فضله، ويهدينا سواء السبيل.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (رقم ٣٥٢٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (رقم ٧٩٤).

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي (رقم ٣٥٢٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (رقم ٧٩٥).

(٣) «صحيح البخاري» (رقم ١٣٦١)، و«صحيح مسلم» (رقم ٢٤٤٧).

القنوط من رحمة الله

أرسل أحدهم رسالة سمّىٰ نفسه فيها بـ(عبد آبق من مولاه)!

تقول: إنك تتوب إلىٰ الله وتستغفره، وإنك ذهبت إلىٰ العمرة، وتضرعت إلىٰ الله عند الكعبة.

وأنا أقول له: يا أخي الكريم! أنت بحمد الله فيك خير كثير، ورسالتك تدل علىٰ شفافيتك، وإيمانك العميق، ونفسك اللوّامة وروحك المؤمنة المتعلقة بمولاها.

يا أخي! كيف تظن أن الله لن يقبلك ويتوب عليك، وهو الذي دعاك إلىٰ التوبة، فقال سبحانه وتعالىٰ ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم:١٠]، وقال جل في علاه: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف]، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة]، وقال عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣]، وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود].

وقد وصف الله عباده المتقين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران]،

وقوله جل في علاه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

إن الله سبحانه وتعالىٰ يفرح من عبده عندما يتوجه إليه بالتوبة، فقد جاء في الحديث الصحيح: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِيْ ظِلِّهَا؛ قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ! أَنْتَ عَبْدِيْ وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»[(١)]، وفي حديث آخر قال ﷺ: «**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عَبْدِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ**. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: **نَعَمْ**. قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْراً»[(٢)].

يا أخي! إذا أراد الله بعبده خيراً فتح له أبواب التوبة. قال الإمام ابن القيم: وهٰذا معنىٰ قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار، قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفاً مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالىٰ، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له، فيكون ذٰلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هٰذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتىٰ يكون ذٰلك الذنب سبب دخوله الجنة. ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها علىٰ ربه، ويتكبر بها، ويرىٰ نفسه ويعجب بها، ويستطيل بها، ويقول فعلت وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه، فإذا أراد الله بهٰذا المسكين خيراً ابتلاه بأمر يكسره به، ويذل به عنقه، ويصغر به نفسه عنده، وإن أراد به غير ذٰلك خلاه وعجبه وكبره،

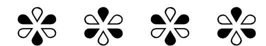
(١) «صحيح مسلم» (رقم ٧١٣٦).

(٢) «مسند أحمد» (رقم ١٦٢٣٢)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٢٨١٠).

وهٰذا هو الخذلان الموجب هلاكه»[1].

فثق بالله يا أخي! واقبل عليه بتوبة صادقة، وإذا كنت تخشىٰ الشيطان فإنك تستطيع أن تتغلب عليه بالإرادة القوية والعزم والتصميم علىٰ التوبة النصوح، واحذر شياطين الإنس أيضاً، فإن كان لك أصدقاء وقرناء من أهل الفسق والعصيان فانبذهم واتركهم وابتعد عنهم، واختر لك أصحاباً صالحين طيبين، ليكونوا عوناً لك علىٰ طاعة الله، وما دمت تتذكر قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]. فلماذا إذن تكون عندك الحيرة.

نسأل الله أن يعافينا من الآثام والأسقام، ويدخلنا في رحمته، ويغفر لنا ذنوبنا، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) «الوابل الصيب» (ص ١١).

المراجع

١ ـ **القرآن الكريم.**

٢ ـ **إحياء علوم الدين،** لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار االمعرفة ـ بيروت.

٣ ـ **الأدب المفرد،** لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤ ـ **إرواء الغليل،** لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥ ـ **الأمالي في لغة العرب،** لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، سنة النشر ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٦ ـ **تاريخ دمشق،** لعلي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧ ـ **تفسير الخازن** المسمىٰ **لباب التأويل في معاني التنزيل،** لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، الناشر: دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٨ ـ **الجامع لأحكام القرآن،** لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين القرطبي، الناشر: دار عالم الكتب ـ الرياض، الطبعة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، المحقق: هشام سمير البخاري.

٩ ـ **جامع العلوم والحكم،** لعبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨هـ.

١٠ ـ **جامع بيان العلم وفضله،** لأبي عمر يوسف بن عبد البر النميري. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت: ١٣٩٨هـ.

١١ ـ **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي،** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢ ـ **الزهد**، لعبد الله بن المبارك المروزي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي.

١٣ ـ **الزهد**، لأحمد بن حنبل الشيباني، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٤ ـ **السلسلة الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف ـ الرياض.

١٥ ـ **السلسلة الضعيفة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف ـ الرياض.

١٦ ـ **سنن ابن ماجه**، لمحمد بن يزيد القزويني، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٧ ـ **سنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٨ ـ **السنن الكبرىٰ**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

١٩ ـ **سنن الترمذي الجامع الصحيح**، لمحمد بن عيسىٰ الترمذي، الناشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٠ ـ **سنن الدراقطني**، لعلي بن عمر الدارقطني البغدادي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٢١ ـ **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني، الناشر: دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ، تحقيق: د. ضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.

٢٢ ـ **سيرة ابن هشام**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، الناشر: دار الجيل ـ بيروت، ١٤١١هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

٢٣ ـ **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٢٤ ـ **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا.

٢٥ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف ـ الرياض.

٢٦ ـ **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل ـ بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.
٢٧ ـ **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
٢٨ ـ **المعجم الصغير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار ـ بيروت ـ عمان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.
٢٩ ـ **فتوح مصر وأخبارها**، لعبد الرحمٰن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، تحقيق: محمد الحجيري.
٣٠ ـ **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، الناشر: دار الشروق ـ القاهرة، الطبعة: الخامسة والثلاثون، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.
٣١ ـ **قذائف الحق**، لمحمد الغزالي، الناشر: دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ١٩٩١م
٣٢ ـ **الكبائر**، لمحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: دار الندوة الجديدة ـ بيروت.
٣٣ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر ـ بيروت، ١٤١٢ هـ.
٣٤ ـ **المحلّىٰ بالآثار**، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، الناشر: دار الفكر ـ بيروت.
٣٥ ـ **مجموع الفتاوىٰ**، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الناشر: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، المحقق: أنور الباز ـ عامر الجزار.
٣٦ ـ **المستدرك علىٰ الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا.
٣٧ ـ **المستطرف في كل فن مستظرف**، لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، تحقيق: مفيد محمد قميحة.
٣٨ ـ **مسند أبي يعلىٰ**، لأحمد بن علي بن المثنىٰ أبو يعلىٰ الموصلي التميمي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، الناشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق.
٣٩ ـ **المسند**، لأحمد بن حنبل الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.

٤٠ ـ **مصنف ابن أبي شيبة**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة طبعة دار القبلة.
٤١ ـ **المعجم الأوسط**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، الناشر: دار الحرمين ـ القاهرة ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
٤٢ ـ **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٤٣ ـ **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، تحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض.

❊ ❊ ❊ ❊

الفهرس

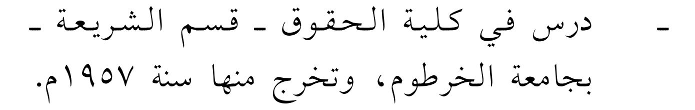
الموضوع	الصفحة
إضاءات	٥
المقدمة	٧
فلنعتصم بحبل الله إذا أردنا الخلاص	١١
علينا الاتباع لا الابتداع	١٥
أما آن لهٰذه الخرافات أن تزول؟	٢٠
النصب والاحتيال باسم الدين	٢٤
برّ الوالدين	٢٧
خطر المربيات الأجنبيات علىٰ مستقبل الأطفال	٣٠
الأبوة المزيفة	٣٣
في هٰذا الزمن انكفأ الأخيار وتمادىٰ الأشرار	٣٥
الرجوع إلىٰ الحق خير من التمادي في الباطل	٣٨
خطر الفضائيات	٤١
قليلاً من الحياء	٤٤
الصحافة مسؤولية وأمانة	٤٦
رباط الأخوة	٤٨
بين طنين الذباب وصهيل الخيل	٥١
من قال لك قال عنك	٥٦
لا ترم الناس بالحجارة وبيتك من زجاج	٦٠
«المسلِم من سلم المسلمون من لسانه ويده»	٦٢
هل هٰذا هو الفكر يا مفكري العرب؟	٦٥
الخطر الداهم	٧٠

الموضوع	الصفحة
المستشرقون العرب	٧٥
حتىٰ لا نُلعن كما لُعِن بنو إسرائيل	٧٧
التضامن الإسلامي أو التناحر الإسلامي	٧٩
«إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»	٨١
لم يبق في القوس منزع	٨٤
«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»	٨٦
اشتدي أزمة تنفرجي	٨٩
حوبة المظلومين	٩١
«الظلم ظلمات يوم القيامة»	٩٥
القدوة الحسنة أولاً	٩٨
الاغترار بالمظاهر	١٠٢
الصيف والمصايف	١٠٦
أموالنا مهدرة	١٠٨
«إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»	١١١
توفير الأمن الغذائي عبادة لله	١١٣
حوادث السيارات	١١٦
فمن أنباك أن أباك ذئب؟	١٢٠
العقد النفسية	١٢٢
التبكير إلىٰ العمل من صميم الدين	١٢٥
التسول	١٢٨
القنوط من رحمة الله	١٣١
المراجع	١٣٤
الفهرس	١٣٨

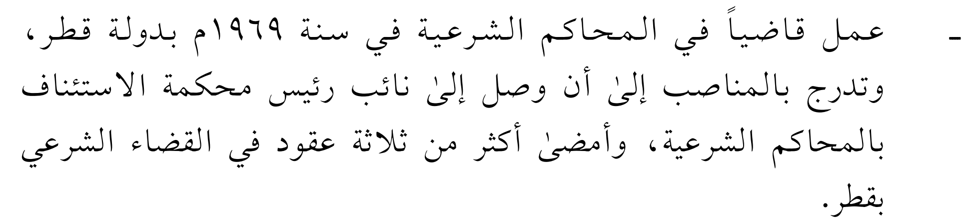
❊ ❊ ❊ ❊

التعريف بالمؤلف

- هو القاضي عبد القادر بن محمد العماري.
- من مواليد سنة ١٩٣٥م.
- تلقىٰ العلوم الشرعية والقانونية عن جماعة من العلماء والمتخصصين في الشريعة والقانون.



- درس في كلية الحقوق ـ قسم الشريعة ـ بجامعة الخرطوم، وتخرج منها سنة ١٩٥٧م.



- عمل قاضياً في المحاكم الشرعية في سنة ١٩٦٩م بدولة قطر، وتدرج بالمناصب إلىٰ أن وصل إلىٰ نائب رئيس محكمة الاستئناف بالمحاكم الشرعية، وأمضىٰ أكثر من ثلاثة عقود في القضاء الشرعي بقطر.
- شارك في مجموعة من المؤتمرات والمجامع الفقهية ومنها مجمع الفقه الإسلامي بجدة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- يحمل عضوية في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- يشغل عضواً في هيئة الرقابة الشرعية بمصرف قطر الإسلامي، وبنك قطر الدولي الإسلامي.
- له عدة مقالات نشرت في الجرائد القطرية، ومجموعة من الجرائد والمجلات العربية.

له مجموعةٌ من المؤلفات المطبوعة:

١ ـ **حوادث السير** (بحث قدمه في الدورة الثامنة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، قامت بطباعته جمعية قطر الخيرية. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة).

٢ ـ **وسقطت الماركسية** (طبعة دار الثقافة ـ الدوحة، الطبعة الأولىٰ: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣ ـ **وأحل الله البيع وحرم الربا** (بحوث في قضايا مصرفية، قام بطباعته بنك قطر الدولي الإسلامي. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة: ٢٠٠٥م).

٤ ـ **الحق الإنساني والعنف الدولي** (بحث قدمه في الدورة الرابعة عشرة: ١/١١/ ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٣/١/١٦م لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، طبعته جمعية الهلال الأحمر القطري، ضمن سلسلة: نحو ثقافة إنسانية: ٥، الطبعة الأولىٰ).

٥ ـ **لن يصلح أمر هٰذه الأمة إلا بما صلح به أولها** (طبعة مطابع قطر الوطنية).

٦ ـ **بيع الوفاء والتورق والعينة** (قام بطباعته مصرف قطر الإسلامي، طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة).

٧ ـ **من أجل الإسلام** (ردود علىٰ كتابات عدد من المؤلفين والكتَّاب. الناشر: دار الضياء ـ الأردن ـ عمَّان).

٨ ـ **منحة الرحمٰن في شهر رمضان** (طبعة دار البشائر الإسلامية ـ لبنان ـ بيروت. الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).

٩ ـ **المفيد في الزواج السعيد** (طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م).

١٠ ـ **تأمّلات قرآنية** (طبعة دار الثقافة، الدوحة ـ قطر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١١ ـ **شقائق الرجال** (طبعة دار الثقافة، الدوحة ـ قطر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٢ ـ **الإسلام دين الحنيفية السمحة** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٣ ـ **شخصيات مضيئة، علماء .. دعاة .. أصدقاء** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٤ ـ **عندما يدمر الإنسان نفسه، الخمر .. المخدرات .. الدخان** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٥ ـ **فتاوىٰ المسلم المعاصر** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٦ ـ **فلسطين بين الحق المغصوب والحل المطلوب** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٧ ـ **نبي الرحمة محمد** ﷺ (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٨ ـ **قضايا مالية معاصرة** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٩ ـ **رسالة القضاء في الإسلام** (إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

طُبع بإشراف
المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب: ١١/٣٧٧١
هاتف: ٤٥٦٢٨٠ (٠٠٩٦١٥)
Web Site: www.almaktab-alislami.com
E-Mail: islamic_of@almaktab-alislami.com